أوراق

ملحق يعنى بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (1796) السنة السابعة - الاحد (16) آيار 2010

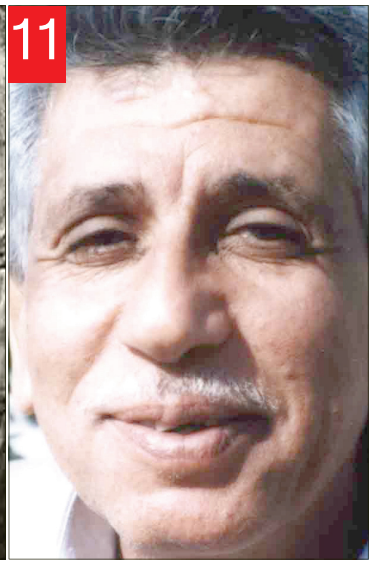

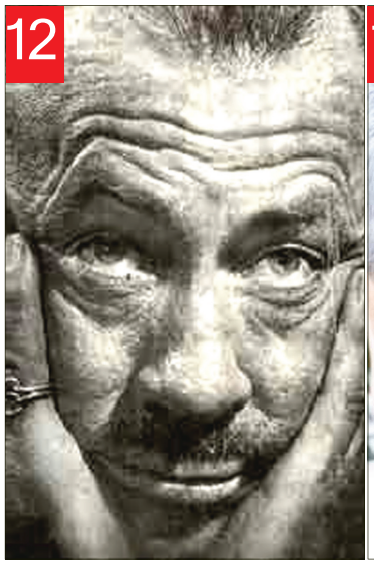

الاعترافات السرية لسلفادور دالي

البدانة من العصور الوسطى إلى القرن العشرين

تاريخ الرقابة على الكتب

سيرة حياة رجل تحول الى أمراة

أسمهان..

أسرار الحب .. والجاسوسية

العدد (1796)السنة السابعة -الاحد (16)
آيار 2010

تـــاريـــخ الـرقـابـة عـلـى الكتب

ان تاريخ الكتاب هو ايضا تاريخ العلاقات المعقدة التي اقامتها السلطة دائما مع الذين يكتبونه او يصنعونه. فعلى خط الالتقاء بين السياسي والاجتماعي ، بين الاقتصادي والثقافي كانت الرقابة فاعلا كلي الحضور في تاريخنا .. هذا فصل من كتاب صدر حديثا يتناول تاريخ الرقابة على المطبوعات وظهور فكرة الممنوع على النص المكتوب
المحرر

مراقبة الكتب قبل المطبعة

كانت الكتب في القرون الوسطى تصنع واحداً واحداً "باليد" وكان ذلك "احد شروط الحياة الفكرية" بالتالي انتشار الافكار بواسطة الكتابة، وكان مهنيو الكتاب، النساخ او اصحاب المكتبات موظفين صغارا في الجامعة يتبعون لها على الصعيد الاداري والقضائي وكانوا ينعمون بامتيازات مثل الاعفاء من الضريبة والحراسة ولكنهم كانوا يخضعون لرقابة دقيقة، تمارس عليهم حتى قبل بدئهم بالعمل من خلال اخضاعهم لتحقيق مسبق.

بعد القسم ودفع كفالة يصبح موظف الكتب الذي يوصف بالحارس، في مركز نظام تأجير النسخ التي تنجز للمخطوطة-المرجع التي تبقى في حوزة الجامعة، في هذا النظام للاعارة المأجورة، الذي اصبح القاعدة العامة في زمن الكتاب الجامعي والعلماني بدءاً من القرن الثالث عشرن لاتنفصل مراقبة نوعية النص واحترامه عن نوعية الافكار التي يحملها، كذلك تزود الجامعة موظفي الكتب والحراس ونساخهم بالورق الذي اصبح يستعمل اكثر فأكثر في الكتب العادية الى جانب الجلود التقليدية والذي كان يبيعه تجار الورق المحلفون الذين كانوا بدورهم يتمتعون بامتيازات تربطهم بالنظام القائم.

اصعب من ذلك مراقبة المخطوطة التي تعطى من قبل الكاتب لاصدقائه الذين ينسخونها ويوزعونها في مابينهم بعض الكتب يمكن ان تؤجر من قبل الكاتب نفسه على شكل نسختين او ثلاث تنجز من قبل محترف خاص في الجامعة وكتب اخرى تسرق او تعار وتنسخ بسرعة من قبل القراصنة الاوائل للنشر، الذين يستطيعون ان يدخلوا عليها كل التشويهات الممكنة، اما دروس الاساتذة فكانت تنسخ من قبل طلاب مأجورين، كتاب التقارير، و تد خل بعد ذلك في النظام المراقب للاعارة المأجورة ولكن الجامعة لم يكن لها سلطة على تدوين الدروس من قبل بعض الطلاب الذين يؤجرونها بعد ذلك في ما بينهم.

في جميع الاحوال، هذا الدوران للمخطوطات غير المراقبة، حيث يمكن ان تنزلق بعض الافكار "المهرطقة" لا يمكن الا ان يكون بطيئاً".

ثورة المطبوعات

ولدت المطبعة في مايانس في اواسط القرن الخامس عشر وانتشرت في اوروبا بين عام ١٤٧٠ و ١٥٢٠ كان الطباعون الاوائل يتنقلون كثيراً، وهذا التحرك سرع توزع مراكز الطباعة في مدينة واحدة فرنسية في باريس كانت تملك محترفا عام ١٤٧٠ (لأن ستراسبورغ التي سبقتها بعشر سنوات لم تكن جزءاً من المملكة)، في عام ١٥٠٠ اصبح هناك، ٣٦ محترفا في التاريخ نفسه، كانت ايطاليا تملك ٧٥ محترفا والمانيا ٥٢ محترفا وتقدر المطبوعات التي خرجت من المطابع الاوروبية في اواخر القرن منها في باريس وليون.

فخلال نصف قرن اذن طبع ما بين عشرة ملايين نسخة وبين خمسة عشر مليون نسخة – بينها الكتب والملصقات والبراءات.

الحماس والتعلق

لم تكن بنى القرون الوسطى لمراقبة الكتاب المخطوط مهيأة بالطبع للثورة المدركة بالاحرى كاكتشاف لتسهيل انتشار المعرفة والكلام المقدس، في عام ١٤٨٧ كتب ادولف اوكو طبيب مطران اوكسبورغ لاحد المطبعيين بأن "المطبعة انارت فعلاً هذا القرن بفضل رحمة كلي القدرة، ولكن الزوجة المقدسة ليسوع المسيح، الكنيسة الكاثوليكية هي بشكل خاص مدينة لها..

في باريس عمل الطابعون الاوائل الذين جاءوا من المانيا بدعوة من قبل عضوين من الجامعة، على مطبعة اقيمت في مكتبة السوربون، وهكذا ولد "الفن الالهي للمطبعة".. كما كان يسميه جان دولا كاي عام ١٦٨٩ بالقرب من مدارس اللاهوت في اطار الجامعة وتحت رقابتها، لقرون عدة سوف تدعي الجامعة بأنها هي اصل المطبعة لتبقى سيدة الرقابة.

في الواقع كان هناك العديد من الكتب يصدر دونما رقابة، مثلا بين عامي ١٧٩٨ و ١٥٢١ من اصل ٥٠٠ طبعة خرجت من مطابع جوس باد كان هناك ثلاث فقط تحمل اذنا بالطبع من الجامعة.

لم يكن كل الناس متحمسين للفن الجديد، لقد لاحظ مارتان لوري عندما درس اصول المطبعة في البندقية انه داخل الجمهور الضيق المعني بالكتاب كانت ردود الفعل متنوعة جدا، تتراوح بن الدعم الحماسي وبين الرفض المطلق..

بالنسبة الى دكتور اللاهوت الدومينيكاني من البندقية فيليبو دي ستراتا فالطابعون مشردون وكسالى جهلة، وطموحون الخ.. باغراقهم المدينة بالكتب الرخيصة التي يستطيع شراءها حتى الاطفال، ي عرضون المجتمع والاخلاق للخطر اتهم، فرافيليبو بعض الطابعين بانتاج كتب عن الاساطير الوثنية واشعار جنسية لاتينية، اما الدين فهو مهدد بترجمة "الكتاب المقدس" الى اللغة العامية التي قد تقود الناس البسطاء الى دروب الهرطقة.

وهكذا بين الاعوام ١٤٧٣ و١٤٩٥ ،اكد راهب دومينيكاني غامض ورجعي من البندقية ثلاث خطايا للمطبعة تبرر خلال خمسة قرون كل اشكال المراقبة، انها تهدد النظام الاجتماعي والاخلاق والدين. بالنسبة الى فرافيليبو يجب منعها، لأنها اسوأ من الدعارة..هذه الانتقادات وجدت صدى لها في قمة التراتيبية الدينية.

-منذ عام ١٤٧٥، تلقت جامعة كولونيا من البابا امتيازاً "يسمح لها برماقبة الطابعين والناشرين والكتاب وحتى قارئي الكتب الضارة".

-في عام ١٤٨٧، اهتم البابا انوسان الثامن بإخضاع المطبعة الى مراقبة الكنيسة، وقد كلف برتولد اسقف مايانس راهبين من الكاتدرائية ودكتورين اثنين بتفحص الكتب، وعام ١٤٩٦ منع نشر اي كتاب من دون موافقة.

-في عام ١٥٠١ وسع الكسندر السادس (والد قيصر ولوكريس بورجيا) المنع ليشمل كل المانيا، في تلك البراءة المؤسسة للرقابة لم يكتف باطلب من الذين يعطون هذه الاذونات بالسهر "على عدم طباعة أي شيء يكون ضد استقامة وملحدا او ما يسبب فضيحة معينة". بل دعا الطابعين الى اعداد "فهارس بكل الكتب المطبوعة" وتسليم الكتب المطبوعة التي تحتوي شيئا مضادا للايمان الكاثوليكي ملحدا صادما او شريراً.." وذلك دون تحفظ او غش".

برغم هذه الاجراءات المتنوعة التي تدل على قلق حقيقي من الاستخدام السيئ من قبل البعض لهذه التقنية الجديدة فان محتوى الكتب لايبدو انه شكل مشكلة الا بصورة عرضية حتى العشرية الثانية من القرن السادس عشر، ولكن يكفي ان تحصل ازمة ايديولوجية كبرى في الغرب حتى تكشف المطبعة على الملأ عن ذلك الدور الذي لايزال ينظر اليه بصورة سيئة، وهو دورها كخميرة ثقافية ، ان لوثر والاصلاح الديني سيعطيان للمطبعة الوسائل ويؤمنان تطورها الكبير، وفي الوقت نفسه يؤمنان تطور الرقابة.

الرقابة بين المحرقة والحرب الاهلية

بعد ٣١ تشرين الاول ١٥١٧ التاريخ الذي وجه فيه لوثر الى اسقف مايانس اطروحة حول رسائل الغفران التي ستعجل امر انفصاله عن روما، قام اصدقاؤه بطباعتها لنشرها عبر المانيا، يبدو ان لوثر قد ادرك الامكانات الهائلة التي توفرها المطبعة للدعاية الدينية، لقد رأى فيها اكبر واخر هبة من الله.

في فرنسا ادينت اطروحاته منق بل السوربون في ١٥ نيسان /ابريل عام ١٥٢١، وطلبت في حزيران /يونيو عام ١٥٢٣ من رئيس القضاء ان تحرق كتبه، كانت هذه بداية فصل اساسي في تاريخ الكتب الممنوعة.

-من خلال وضع تشريع قمعي يربط ويواجه ايضا بين السلطة الملكية وبين الجامعة والبرلمان.

-ومن خلال اشكال وتقنيات الانتهاك التي يعدها المكتبيون والطابعون.

×أعداد التشريع: في ١٨ اذار/مارس في عام ١٥٢١ (هناك اعتراض على التاريخ) امر منشور صادر عن فرانسوا الاول بناء على التماس من رئيس الجامعة، البرلمان بمنع نشر كتاب يعالج

مسائل دينية دون مراقبة كلية اللاهوت. هذا النظام الاول المتعلق بمراقبة الكتب سوف يعمل خلال سنتين اثنتين.

ولكن في عام ١٥٢٣ انفجر نزاع بين الملك من جهة وبين الجامعة والبرلمان من جهة اخرى، حول كتب لويس بيركان ولوفيفر بدي يتايل الملاحقة برغم الارادة الملكية، واخيرا تلقى البرلمان اذنا ملكيا باحراق كتب بيركان الذي اصبح بذلك، الى جانب لوثر، اول كاتب ضحية الرقابة في فرنسا، كذلك سيرفع نفسه الى المحرقة عام ١٥٢٩. في عام ١٥٣٣ صادر لاهتيو كلية باريس من المكتبات كتابا، هرطيقيا "مرآة النفس الخاطئة". لكن الكاتب لم يكن غير اخت فرانسوا الاول، مرغريت دي نفافار فاشتكت الى اخيها الذي طلب تفسيرات من الرعناء...

وجاءت قضية لوحات الاعلانات طابعا مسرحيا للنزاع في الليل بين ١٧ و١٨ تشرين الاول/ اكتوبر في عام ١٥٣٤ علقت ملصقات مطبوعة في باريس وفي العديد من مدن فرنسا تشكل هرطقة ضد القربان المقدس وشرف القديسيين مثلما كتب برجوازي باريس في صحيفته حتى وجد ملصقا معلقا على باب غرفة الملك في اللوفر كان رد فعل فرانسوا الاول عنيفا ومهيئا من قبل محيطه.

في بداية كانون الثاني عام ١٥٣٤، حصلت قضية جديدة ، لقد اكتشف في اللوفر وعبر المدينة وجود كتب شائنة مكررة الشتائم والهرطقات بين هذه الكتب عاين غبرييل برتو البحث الصغير والمفيد جدا والخلاصي للافخارستيا المقدسة لكاتبه انطوان مركور قسيس نوشاتيل الذي كتب وطع ملصقات عام ١٥٣٤.

وطفح الكيل: في ١٣ كانون الثاني / يناير عام ١٥٣٥ صدر عن الملك قرار يمنع طباعة أي كتاب جديد في المملكة حتى اشعار اخر متوعدا بحبل المشنقة للمخالفين حتى ولو لم يطبق القرار، فان فرانسوا الاول، حامي الاداب والمطبعة وكان اذن اول عاهل ربط بين الرقابة وبين حكم الاعدام، صحيح انه بعد ستة اسابيع من ذلك سمح بالطباعة مجددا ولكن تحت شروط قاسية في الرقابة ، خاصة من حيث تحديد عدد الطابعين والاذن المسبق.

٢-"نار الفرح علامة شؤم": اخذت الرقابة تتصلب انطلاقا من عام ١٥٤٠ مع تعاون متزايد للبرلمان، والسوربون وتقدم النشر في جنيف باتجاه السوق الفرنسي، وصدور اول طبعة باللغة الفرنسية في جنيف من كتاب كالفين "مؤسسة الدين المسيحي ١٥٤١ أدين الكتاب ببراءة من البرلمان صدرت في اول تموز /يوليو عام ١٥٤٢ ، تنص على ما يلي:

١- كل الكتب اللوثرية والكالفينية يجب ان تسلم الى السلطات خلال ثلاثة ايام.

٢- وحدهم معلمو الطباعة يحق لهم ممارسة هذا العمل يجب ان يكون كل كتاب ممهورا بعلامة الطابع وبعنوانه..

٣- لايمكن ان يوضع أي كتاب في البيع دون مراقبة لجنة مشتركة من المكتبيين المحلفين ومن ممثلي الجامعة.

٤- ان الوشاية بالمخالفين تشجع كثيراً.

لاول مرة تشرك المهنة (ممثلة بالمكتبيين المحلفين) في اولية الرقابة، فالنظام الجديد يبدو فعالاً.

كتاب / histoire de censure
تاليف / Robert netz

صوفيا تولستوي

سيرة ذاتية

ترجمة : عمار كاظم محمد

كانت صوفيا تولستوي ابنة لطبيب في موسكو وقد تزوجت من تولستوي البالغ من العمر ٣٥ عاما حينما كانت في الثامنة عشرة من عمرها حيث كان تولستوي كاتبا شهيرا في ذلك الحين.

لقد كرست صوفيا حياتها لزوجها فقد ربته مع اطفالها العديدين منه مثلما قامت بنشر اعماله وتشاجرت مع مريديه وقامت برعايته عند حالات المرض والكآبة التي قادته للجنون ورفضها في آخر اسبوع من حياته عام ١٩١٠ وبقيت حية بعده واستمرت بعده بحفظ اعماله لأسلافه في العالم .

لعبت هيلين ميرين دورا رائعا بتجسيدها لشخصية صوفيا في فيلم ماخوذ عن رواية جاي بارنيزي حول العام الاخير من حياة تولستوي والمسمى "المحطة الاخيرة".

اعتقد ان صوفيا الحقيقية قد احبت الصورة المرسومة عنها كامرأة شجاعة و متوترة وكفوءة في عملها وجذابة وسط واجباتها ومتعتها فقد اغتبطت باهميتها باخراج صوت تولستوي وكناسخة لمسودات " الحرب والسلام " و " آنا كارنينا " فقد بدت انها لا تتعب لكنها شعرت بانه لا يتم تقديرها لخدمتها الثابتة وادارتها الداخلية لشؤون زوجها وبيتها .

لقد شكت صوفيا في مذكراتها قائلة " في عائلتنا كان ليف نيكولاي فيج تولستوي يعيش باختياره الشخصي اما بالنسبة لي فقد عشت بالضرورة بينما كنت اتوق لحياة روحية هادئة " لقد غدت حاملا ست عشرة مرة وقد عاش ثمانية منهم فقط لسن الرشد .

لقد كانت تحت طلب عائلتها تماما وتتخذ او تطور دائما هواية شخصية او اخرى فقد كتبت ورسمت ووثقت حياتها وحياة عائلتها بصور جميلة ومتميزة وعاشت بعد زوجها تسع سنوات " وما كان جيدا في حياتي مع هذا الشهير هو انها كانت عملا وعملا وعملا " .

من الممكن ان نعرف الكثير عن زواج تولستوي اكثر مما يعرف احدنا عن نفسه فهل تحتفظان انت وزوجك بمذكرات يومية ؟ هل حصل ان يكون زوجك اعظم روائي في العالم ويقوم بتحويل تلك الحوادث اليومية من حياتك الى مشاهد ادبية لا تنسى ؟ هل لديك الكثير من الزوار الذين يكتبون او يحللون ما تفعل انت وزوجك ؟ وهل كتاب السير الذاتية في المستقبل يقومون بتحليل هذه الدراما اليومية ؟ هل سيقوم عدد من اطفالك بكتابة كتاب عنكما ؟ ولا انا لكن ها نحن هنا غير قادرين على تحويل بصرنا عن اي شيء مرتبط بتولستوي وهو يتحول الى لعبة ادبية تقدم لهذا الزواج .

" اسف تولستوي بعد معركة شهر العسل وكنت حزينة على اننا نتصرف بطريقة عادية كالناس الاخرين " .

صوفيا تولستوي هو سيرة ذاتية جديدة للكونتيسة تولستوي للكاتبة الكسندرا بوبوف وهي مواطنة روسية تعيش في كندا وتكتب بلغة انكليزية سيئة وهي تخطيء غالبا في الدفاع عن

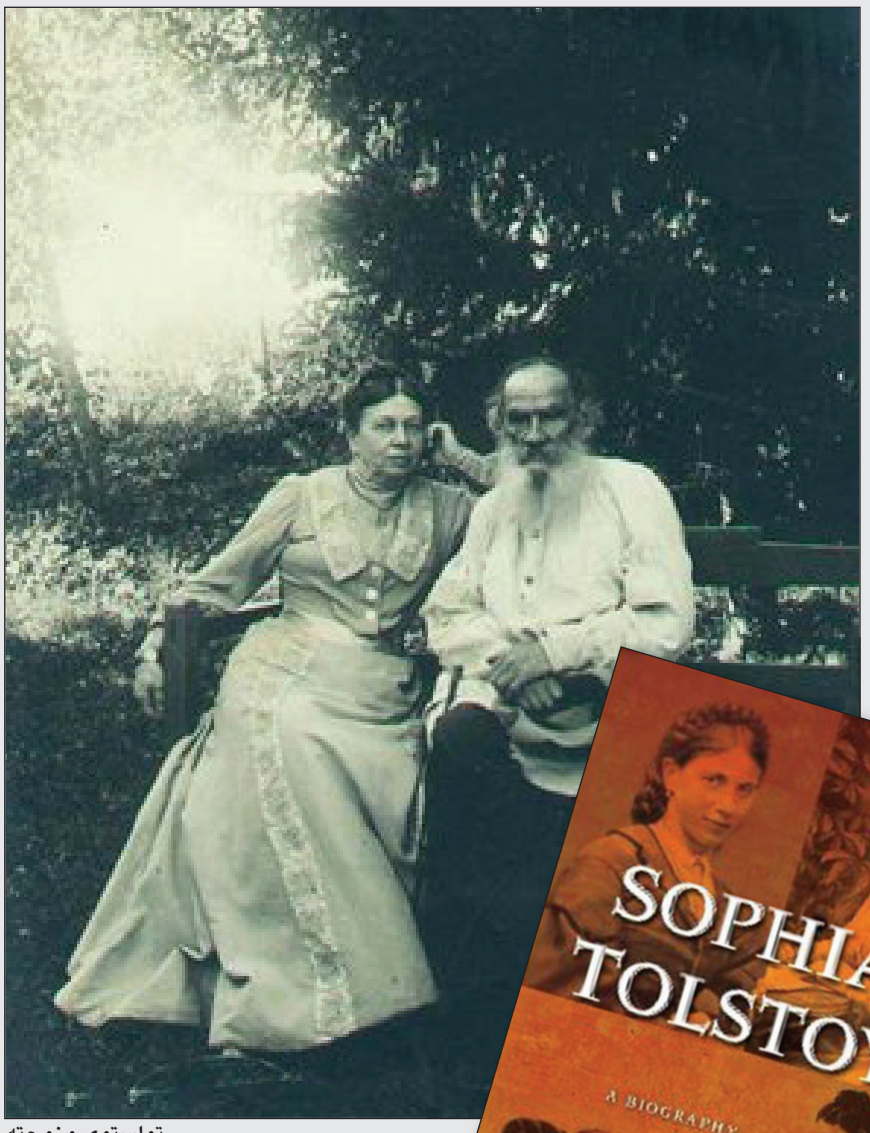

تولستوي وزوجته

فهمها للا انانية صوفيا والذي كان السبب في موتها حيث ان لا انانيتها كان عامل اساس في حياتها الطويلة فلم تكن تتعب من تذكر عائلتها .

لقد كانت صوفيا امرأة متميزة خصوصا حينما لم تك تشكو من عدم تقديرها او قلقة عن الكيفية التي ستبدوا عليها في التاريخ " اشعر بانني صفر تماما فالجميع يقف ضدي وكل شيء تعودت ان اصدقه جيد وجميل لكن المفيد الان يتحطم حينما ضل تولستوي طريقه بعد رواية "آنا كارنينا " وتخلى عن عنوانه كاعظم روائي في العالم لأداء دور النبي الأخلاقي حزنت صوفيا للخسارة الادبية لقد صاغتها بوبوف جيدا " ان فنه كان يعطيها الغرض والمتعة وبدونه كان هناك فراغ وطوال الثلاثين عاما التي تلت ذلك قامت بتشجيع زوجا على العودة الى الكتابة الادبية لكنها فقدت جزءا ممتازا منه حينما اعلن استنكاره لفنه. لم يك احد قويا بمافيه الكفاية لكبح شهوات تولستوي العاطفية والثقافية بعد ان اخذه الدين وفعل الخير لكن صوفيا لم تكن تحس بالخيبة فقط لكنها شعرت بالغيرة من الدعم المتعاطف من قبل فلاديمير جيرتكوف (جيرتكوف كان ارستقراطيا متملقا جدا وقد نجا من الثورة الروسية ووجد نفسه بالضبط حيث يريد فاصبح مسئولا عن طباعة ونشر اعمال تولستوي التي بذلت من اجلها صوفيا كل حياتها الزوجية لكي تصنعها وتبقيها " .

لقد جمعت بوبوف عددا كبيرا من اقتباسات تولستوي ومذكراته ورسائله لتعطينا صورة واضحة عن صوفيا وافضل طريقة لاكتشافها هي مجلد كبير للمؤلفة نفسها . فهل كانت صوفيا ملكة مسرحية ؟ بالتاكيد لكنها احبت زوجها واحبت ان تكون مساعدة للروائي العظيم وقد كتب تولستوي عنها في يومياته انها كانت زوجة بحق ففي بعض الاحيان كان زوجها يقدرها لكنها في احيان ثانية كانت تقوده للجنون .

" كل عائلة غير سعيدة فهي كذلك على طريقتها " كما يذكرنا تولستوي في رواية "آنا كارنينا " حيث يمكننا ان نتعرف على صوفيا الشابة من خلال متابعتنا لأدراكها الذاتي وانشغالها وان يصور هذا بشكل ادبي من قبل تولستوي هو بالتاكيد ينير لنا اكبر مما جسده دور هيلين ميرر.

عن : كرستيان ساينز مونيتر .

العدد (1796)السنة السابعة -الاحد (16)
آيار 2010

ابدت الكتب قوة هائلة من اجل الخير ومن اجل الشر طوال التاريخ المسجل للجنس البشري .. في هذه الصفحات سنقدم مناقشة لعشرة كتب كان لها تاثير في التاريخ والاقتصاد والثقافة والعلوم من عصر النهضة الى يومنا هذا انها كتب بالغة القوة نقدمها في ملحق (اوراق) والكتب من اختيار الدكتور روبرت داونز الرئيس السابق للمكتبة الوطنية الامريكية يبين بوضوح ذلك النفوذ الواسع للكتاب، كتاب داونز صدر في الخمسينيات من القرن الماضي اراد فيه المؤلف ان يقدم عرضا مثيرا للكتب من عدة عصور تبين القوة الهائلة للكلمة المطبوعة واثرها في التقدم البشري.

10 كتب هــزت العالم

٤-أصــل الأنــواع..داروين

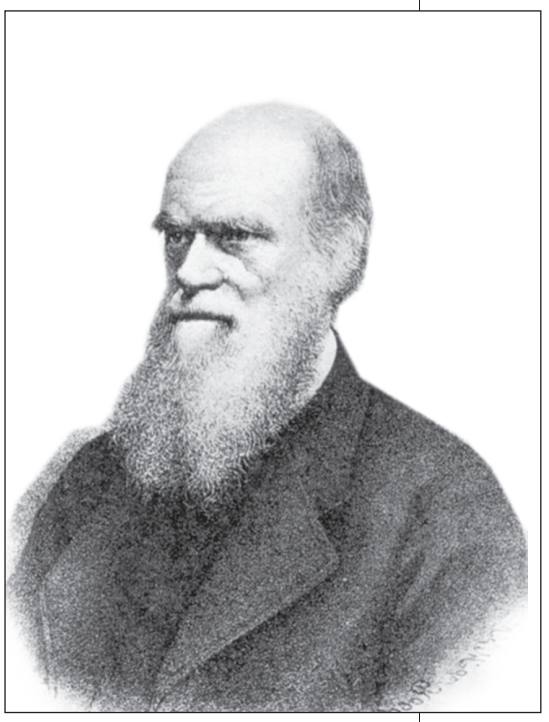

تشارلز داروين

نال داروين عرضا، عن طريق سدجويك بالابحار كعالم طبيعي على ظهر سفينة البحرية (بيجل) فخرج في بعثة لقيام بمسح واسع النطاق في نصف الكرة الجنوبي، وفي السنوات التي تلت تلك الرحلة، اعتبرها داروين "اهم واعظم حادث في حياتي" فقد قررت هذه الرحلة مجال مستقبله كله، وقد ماتت "فكرة مصيره كاهنا، ميتة طبيعية فوق البيجل".

ومن بين جميع المناطق التي زارها داروين، لم تثر اية واحدة منها متعته اكثر من اثارتها جزر جالاباجوس الواقعة على مسافة ٥٠٠ ميل غربي ساحل اميركا الجنوبية، رأي داروين في هذه الجزر البركانية المنعزلة غير المأهولة التي تكاد تكون قاحلة سلاحف عملاقة موجودة في كل مكان كحفريات ليس غير وسحليات ضخمة انقرضت منذ زمن بعيد من اجزاء العالم الاخرى، وسرطانات عملاقة وسباع بحر هائلة الحجم. وقد ادهشه بنوع خاص ان طيور تلك الجزيرة كانت شبيهة بطيور القارة المجاورة، ولكنها ليست مطباقة لها، وزيادة على ذلك، كانت هناك اختلافات بين شتى اجناس الطيور من جزيرة الى جزيرة.

قوت هذه الظواهر الغريبة في جزر جالاباجوس إضافة الى بعض الحقائق التي سبق ان لاحظها في اميركا الجنوبية، قوت افكار التطور التي بدأت تشكل في ذهن داروين، وهاك روايته هو نفسه.

"دهشت دهشة بالغة عندما اكتشفت في تكوينات البامبا حيوانات حفرية ضخمة مغطاة بدروع كدرع الارماديلو الحالي، وثانيا بالطريقة التي تحل بها الحيوانات الغريبة التشابه، احدها محل الاخر في الاتجاه جنوبا على القارة، وثالثا بالصبغة الاميركية الجنوبية لمعظم انتاجات ارخبيل جالاباجوس ، وخصوصا بالكيفية التي تختلف بها اختلافا طفيفا في كل جزيرة من مجموعة الجزر هذه، وما من جزيرة منها تبدو عتيقة جدا، بالمعنى الجيولوجي".

ما عاد داروين يصدق اطلاقا تعاليم "التكوين" القائلة بأن كل جنس خلق كاملا وانحدر خلال العصور دون تغير.

وفور عودته الى انكلترا شرع يحتفظ بمذكراته عن التطور، ويجمع الحقائق عن مختلف الاجناس، وهذا هو رايه "اصل الاجناس" ، فكتب اول مسودة عن نظريته في عام ١٨٤٢ وتقع في ٣٥ صفحة، ثم وسعها في عام ١٨٤٤ الى صورة اكمل تقع في ٢٣٠ صفحة.

كان اللغز العظيم، في البداية، هو كيف يفسر ظهور الانواع واختفاءها، لماذا تنشأ الاجناس وتتحور بمرور الزمن وتتفرغ الى عدة انواع، وتختفي في الغالب من الوجود تماما؟

عثر داروين على مفتاح هذا اللغز عندما قرأ بمحض المصادفة، موضوع مالثوس عن السكان، ابان مالثوس ان معدل الزيادة في عدد السكان قد اخرته "عوامل اعاقة ايجابية" كالامراض والحوادث والحروب والمجاعات، فطرأ على فكر داروين ان هناك عوامل مشابهة تعمل على انخفاض عدد الموجود من الحيوانات والنباتات ، فكتب يقول:

"واذا صرت على اتم استعداد لتقدير قيمة تنازع البقاء الساري في كل مكان، من ملاحظاتي المستمرة مدة طويلة لعادات الحيوانات والنباتات ، طرأ على بالي، في الحال ، انه في مثل هذه الظروف، تميل الاجناس الصالحة الى الاحتفاظ بجنسها، بينما تندثر او تهلك الاجناس غير الصالحة، وتكون نتيجة هذا تكون اجناس جديدة، اذن تكونت عندي هنا اخيرا نظرية يمكنني ان اعمل على هديها".

وهكذا ولد مذهب داروين الشهير "الانتقاء الطبيعي" أو "تنازع البقاء" او "بقاء الاصلح" وهذا هو حجر الاساس لكتابة "اصل الاجناس).

ظل داروين مدة عشرين عاما يكتب مذكراته ويضع البراهين على نظرياته، فقرأ كميات ضخمة من النصوص –مجموعات كاملة من المجلات الدورية، وكتب الرحلات وكتب الرياضيات، وزراعة الزهور والفاكهة والخضر وتربية الحيوان والتاريخ الطبيعي العام، فكتب يقول: "عندما اتأمل قائمة الكتب التي قرأتها و لخصتها، وتشمل مجموعات كاملة من الصحف والصفقات أدهشني نشاطي". فتحدث الى خبراء تربية الحيوان والنبات، وارسل مجموعات من الاسئلة الى كل من يمكن ان تكون لديهم معلومات مفيدة، اعدت هياكل عظيمة لعدة انواع من الطيور الاليفة، وقورنت اعمار واوزانعظامها بعظام اجناس الطيور البرية فقام بتربية الحمام الاليف واجرى تجارب واسعة في التهجين، كما اجرى تجارب على الفواكه والبذور الطافية على مياه البحار، وفحص عدة امور اخرى تتعلق بانتقال البذور، مستخدما في ذلك جميع معلومات علم النبات وعلم الحيوان وعلم الحفريات او الجثث المتحجرة التي اكتسبها من رحلته على ظهر سفينة البحرية "البيجل" واضاف الى كمية المعلومات هذه اراءه الشخصية، اذ كان دائم التفكير في نظرياته الثورية.

اعتقد داروين ان التدعيم القوي لمذهبه "الانتقاء الطبيعي" جاء من دراسة "الانتقاء الصناعي". ففي حالة الحيوانات الاليفة والنباتات المنزلية – الخيول والكلاب والقطط والقمح والشعير وزهور الحدائق ونحوها – انتقى الانسان وربى منها اكثرها نفعا لاحتياجاته، وهكذا حورت الحيوانات الاليفة والمحاصيل والزهور خلال هذه العملية حتى انه قلما يمكن التعرف على انها تنتمي الى اسلافها البرية بصلة. فنشأت اجناس جديدة عن طريق الانتقاء، فينتقي المربي الحيوانات ذوات الصفات التي يريدها ولايربى سواها، جيلا بعد جيل، واخيرا ينتج اجناسا تختلف عما كانت موجودة من قبل. فانوا ع الكلاب المتباينة، مثل الكلب الطويل الجسم، والقصير الارحيل، وكلب حراسة الاغنام، والابيض الطويل الاذان وكلاب الصيد بجميع انواعها، منحدرة كلها عن الذئب.

قال داروين، اذا امكن احداث التطور بالانتقاء الصناعي، فهلا تستطيع الطبيعة ان تفعل ذلك بالانتقاء الطبيعي؟ وفي الطبيعة، يحل "تنازع البقاء"، محل المربي، لاحظ داروين، بين جميع انواع الحياة، ان عددا كبيرا من الافراد يجب ان يهلك. لا يستطيع الحياة من بين المولود منها الا نسبة بسيطة، تمد بعض الاجناس بالغذاء اجناس اخرى، تدور المعركة بغير انقطاع، وتبيد المنافسة العنيفة الحيوانات والنباتات غير الصالحة فتنقرض، وتحدث تغييرات في الاجناس لتلائم الظروف اللازمة لبقائها.

وهكذا اصر داروين على بناء حصن من البراهين لنظرياته يتحدى كل هجوم، واخيرا بعد الحاح اصدقائه المخلصين، اخذ يعد العدة لعمل اثري يصدر في ملجدات عدة.

في نهاية عام ١٨٥٩ نشر جون موراي في لندن ذلك الكتاب الذي قدر له ان يصبح حجر الزاوية في تاريخ العلوم، كانت الطبعة الاولى ١٥٠٠ نسخة بيعت كلها في اليوم الاول، فتبعتها طبعات اخرى حتى بلغ عدد النسخ التي بيعت في حياة داروين (مات في عام ١٨٨٥ –٢٤٠٠٠ نسخة في انكلترا وحدها، وترجم ذلك الكتاب الى جميع اللغات المتحضرة تقريبا كان عنوان النسخة الاصلية "اصل الاجناس بواسطة الانتقام الطبيعي او بقاء الاجناس الصالحة في التنازع من اجل البقاء"، ثم اختصر الزمن هذا العنوان الطويل الى "اصل الاجناس".

ناقش

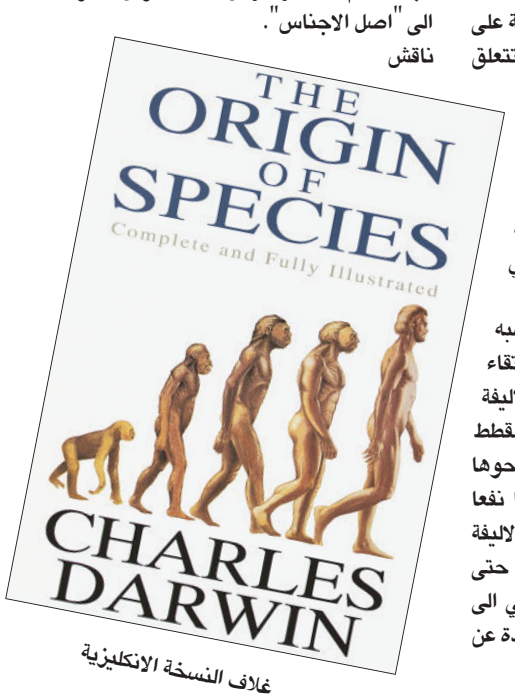

غلاف النسخة الانكليزية

فن الشعر في ملحمة كلكامش

تأليف/ صلاح نيازي

تعد ملحمة كلكامش أول ملحمة في تاريخ الادب، مر عليها الان اكثر من اربعة آلاف سنة، فهي اقدم من الأوديسة و الإلياذة بألف سنة.

ولو صح ما افترضه النقاد الأجانب من ان الملحمة عمل مسرحي، فاننا نكون امام أول نص مسرحي في تاريخ الأدب. انطلاقاً من هذا المفهوم، يقدم الشاعر والناقد والمترجم صلاح نيازي، رؤيته النقدية في هذه الملحمة، من مفهوم فن الشعر.

داروين الاسس الجوهرية لنظريته في الابواب الاربعة الاولى من كتابه "اصل الانواع" وتناولت الابواب الاربعة التالية الاعتراضات الممكنة على هذه النظرية. وبعدها تأتي عدة ابواب تتناول علم طبقات الارض والتوزيع الجغرافي للنباتات والحيوانات، والحقائق المناسبة لتصنيفها ، وعلم الشكل الخارجي للكائنات وعلم الاجنة، ويلخص الباب الاخير كل ما سبق.

فسر داروين في بداية كتاب "اصل الانواع" تلك التغييرات التي حدثت للحيوانات الاليفة والنباتات المنزلية نتيجة لرقابة الانسان، ويقارن الانواع التي نتجت عن "الانتقاء الصناعي" بالتغيرات التي حدثت للحيوانات الاليفة والنباتات المنزلية نتيجة لرقابة الانسان، ويقارن الانواع التي نتجت عن "الانتقاء الصناعي" بالتغيرات التي تحدث في الطبيعة او "الانتقاء الطبيعي" فأينما توجد الحياة يحدث التغيير باستمرار، وما من فردين متشابهان تماما.

اضاف داروين تنازع البقاء الى التنوع، فاستعمل بعض الامثلة الشهيرة ليشرح كيف تريد قدرة الكائنات الحية على التكاثر، الى أي حد طالما لها مقدرة على الحياة، وحتى ابطأ الحيوانات في التكاثر، مثل الاقبال سرعان ما تملأ الدنيا، فاذا كبر كل فيل الى طول البلوغ وتكاثر طبيعيا، فانه كما يقول داروين "سيكون هناك بعد مدة من ٧٤٠ الى ٧٥٠ عاما، سيكون هناك على قيد الحياة زهاء ١٩ مليون فيل منحدرة من زوج الافيال الاول".

ومن هذا المثال وغيره من الامثلة، استنتج انه "بما ان عدد الافراد التي تولد تزيد كثيرا على ما يمكن ان يعيش، فلابد ان يكون هناك تنازع على البقاء اما بين فرد ما وفرد آخر من نفس جنسه، او بين اجناس مختلفة، او بين الكائنات الحية ورظوف الحياة الطبيعية". لا شواذ للقاعدة القائلة بأن كل نبات او سمك او طائر او حيوان، ومنه الانسان ينتج بذورا الى ما نهاية اكثر مما يستطيع ان يتلاءم مع العالم المزدحم أو اكثر ما يولد، ومعدل الزيادة يتبع متوالية هندسية أي متضاعفة.

يبدأ كتاب طاصل الانواع" بأن يوضح كيفية عمل مبدأ "الانتقاء الطبيعي" في ايقاف زيادة عدد السكان. يكون بغض افراد جنس ما أقوى من غيرها او اسرع جريا او اعظم ذكاء او اكثر صناعة للامراض او اقدر على احتمال قسوة الطقس، يبقى هؤلاء احياء ويتكاثر بينما يهلك الضعفاء، يعيش الارنب الابيض في المناطق القطبية بينما تستأصل الثعالب والذئاب الارانب البنية اللون والاكبر جسما، وعاشت الزراف الطويلة الاعناق لأنها استطاعت، في وقت الجفاف، الحصول على طعامها من قمم الاشجار، بينما ماتت جوعا الزراف القصيرة الاعناق. فاكدت هذه الاختلافات مبدأ "بقاء الاصلح" وخلال عشرات الالوف من السنين، أدى ذلك الى خلق اجناس جديدة.

اشار داروين الى مظهر عام من مظاهر "الانتقاء الطبيعي".

فقال: "المعتاد ان الذكور الاقوياء الاكثر ملاءمة لأماكنهم في الطبيعة، هم الذين يتركون ذرية اكثر.. فالوعل العديم القرون، او الديك عديم المخالب القوية اضعف فرصة في ترك ذرية عديدة".

و"غالبا ما يكون النضال بين الطيور في صورة اكثر هدوءاً".

فأن ذكور الاجناس المختلفة تسعى الى جذب الاناث بالتغريد العذب أو بالريش الجميل أو بالقيام بحيل غريبة.

وكذلك الطقس عامل قوي في الانتقاء الطبيعي، لانه يبدو ان الفصول الشديدة البرودة والجفاف هي اكثر الفصول اعاقة للتكاثر.. يبدو فعل الطقس، لاول وهلة ، مستقلا تماما عن تنازع البقاء.. ولكن طالما يعمل الطقس على اقلال الطعام فأنه يجلب في ركابه اقسى تنازع بين الافراد، سواء من الجنس نفسه أو بين افراد الاجناس المختلفة التي تتغذى بنوع الطعام نفسه".

والمنتظر ان التي تعيش اكثر من غيرها هي الافراد القوية القادرة على مقاومة الحر او البرد، والقادرة اكثر من غيرها على الحصول على طعامها.

قرر داروين في اخر ابواب كتابه انه لاحدود لقوة الانتقاء الطبيعي واقترح ان الانسان يمكنه "ان يستنتج من المشابهة، انه من المحتمل ان تكون جميع الكائنات العضوية التي عاشت على هذه الارض منحدرة من صورة اصلية واحدة دبت فيها الحياة اول مادبت". واعتقد ان جميع صور الحياة المعقدة بوجودها للقوانين الطبيعية، وجد ان نتائج الانتقاء الطبيعي موجبة.

وهكذا يجد، من جرب الطبيعة، ومن المجاعات ومن الموت ، نجد اعظم موضوع نستطيع التفكير فيه، وهو انتاج الحيوانات الراقية، هو ما يلي ذلك مباشرة، توجد عظمة في وجهة النظر هذه عن الحياة ، بشتى قواها التي نفثها الخالق في بضعة صور او في صورة واحدة. وبينما يدور هذا الكوكب تبعا لقانون الجاذبية الثابت، فمن هذه البداية البسيطة نشأت صور لا تحصى في غاية الجمال والعجب، ولا تزال تنشأ.

على هذا النحو كانت نظرية التطور اللانهائي التي قدمها كتاب "اصل الانواع" ومع ذلك فعلى نقيض الاعتقاد السائد ان داروين لم يخلق نظرية التطور، فهذه الفكرة اقدم من ارسطو ولوكريتس ، ايد هذا المذهب كثير من العقول البالغة الذكاء امثال بوفون، وغوتيه وايراسموس وهربرت سبنسر ...اشتهرت نظرية شارل داروين في ناحيتين: الاول قدم البراهين، التي تقبل الجدل، للتدليل على حقيقة التطور اكثر ما قدم منسبقوه.. والثانية، انه قدم نظريته الشهيرة عن الانتقاء الطبيعي بتفسير معقول لطريقة التطور.

شبه تهافت معاصري داروين على كتاب "اصل الانواع".

بحريق هائل انطلق كالبرق في جون"

فاذا كانت هذه النظرية الثورية الجديدة صحيحة، فلا يمكن بعد ذلك قبول قصة التوراة عن الخليفة، فادركت الكنيسة ، من فورها ان مذهب داروين خطر على الدين واقامت عاصفة من المعارضة، وبالرغم من ان داروين كان على جانب كبير من الحذر ولم يطبق نظريته على الجنس البشري، فقد ذاع اتهامه بان ذلك المؤلف يقول ان الناس منحدرون عن القردة.

حظى داروين بتأييد قوى من زملائه العلماء، كما عارضه البعض مرة. مثل وجهة النظر الرجعية اشخاص مثل اوين في انكلترا، واجاسير في اميركا، فقرر كل منهما ان الافكار الداروينية هرطقة علمية ، وسرعان ما سيطويها النسيان، ووصف العالم الفلكي السير جون هرشيل، الداروينية بأنها طقانون قلب الاوضاع" ، وقرر سدجويك استاذ داروين لعلم طبقات الارض بجامعة كامبريدج، ان هذه النظرية "باطلة وشريرة بدرجة محزنة" وكتب داروين يقول: "انه ضحك حتى آلمه جنباه من شدة الضحك" على كتابه اذ اعتبره "آلة وحشية مثل قاطرة الاسقف ويلكنز التي كانت ستبحر بنا الى القمر".

وبرغم كل هذا لم يعدم داروين الابطال الشجعان وكان في مقدمة هؤلاء شارل لايل عالم طبقات الارض، وتوماس هوكسلي استاذ علم الاحياء، وجوزيف هوكر عالم النبات، اساجراي عالم النبات الاميركي الشهر، واكثر من اعتمد عليه داروين من بين كل هؤلاء، هو هوكسلي الذي اطلق عليه اسم "الوكيل العام" والذي اشار اليه انه "الحارس الوفي لداروين".

لم يكن داروين رجل جدل، ولم يظهر قط في الاجتماعات العامة ليدافع عن نظريته، وانما الذي اضطلع بمعظم الدفاع هو هوكسلي.

كان هوكسلي هو الذي لعب احد الدورين المهمين في اجتماع الجمعية البريطانية في اكسفورد عام ١٨٦٠، كان برنامج الاجتماع هو النظرية الداروينية وكان المدفع الاكبر في جانب المعارضة هو الاسقف وبرفورس اسقف اكسفورد ، وفي نهاية خطاب صاخب ظنه حطم نظرية داروين.

استدار الاسقف الى هوكسلي وهو جالس على منصة الخطابة، وسأل متهكما: "أود ان اسأل الاستاذ هوكسلي: هل جاء الانحدار عن القرد، من ناحية جده او من ناحية جدته"؟ فصاح هوكسلي يكلم احد اصدقائه بقوله: "لقد اسلمه الرب بين يدي"... وصعد ليجيب على السؤال، ويقال انه قال:

"لايحق للمرء ان يخجل من ان جده قرد، وانما الجد الذي اشعر بالعار منه هو ان كان رجلا مضطرب الذكاء متقلبة، لايقنع بالنجاح في مجال عمله، وانما يقحم نفسه في امور علمية لايلم بها الماما حقيقيا فيلقى الغموض عليها ببلاغة عديمة الهدف، ويسرح بانتباه سامعيه بعيدا عن جوهر الموضوع بانحراف بلاغي ونداء بارع الى التعصب الديني".

هذا هو احد الاصطدامات العديدة بين الكنيسة والعلم بسبب المذهب الداروييني والتطور الذي استمر اواره في السنين اللاحقة.

مكننا مؤلف داروين من ان نرى مركز الانسان وحضارتنا الحالية، في نور حقيقي، ليس الانسان سلعة فرغ من صنعها، فصار غير قابل للتقدم اكثر من ذلك، ان وراءه تاريخا طويلا، ليس تاريخا نحو التقهقر والهبوط، وانما هو نحو الصعود، وامامه امكان التطور التقدمي اكثر مما هو عليه، وزيادة على ذلك ، ففي ضوء التطور، علينا ان نتعلم ان نكون اكثر صبرا. بالقياس الى المليون عام التي عاشها الانسان على الارض، والالف مليون عام لتقدم حياته، وبوسعنا ان نتذرع بالصبر عندما يؤكد لنا علماء الفلك ان امامنا في الاقل الف مليون عام اخرى لنتطور فيها تقدميا الى صور سامية جديدة.

غلاف النسخة العربية

خزانة المدى

باسم عبد الحميد حمودي

فلسفة الجد والهزل للجاحظ

صدر هذا الكتاب في بيروت في الخمسينيات حيث قدّم له وشرح مغاليقه اللغوية د. الشيخ محمد علي الزعبي ، ثم اعادت طبعه دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد ضمن سلسلة (خزانة التراث) عام ١٩٨٩ دون تدقيق ولا تمحيص .حح=حط

يقع كتاب (فلسفة الجد والهزل) في مئة وتسع وثمانين صفحةمن القطع الكبير ، وهو يجمع بين مقدمة الزعبي والرسائل الاربع التي كتبها الجاحظ وجمعها في هذا الكتاب وهي (فلسفة المعاد والمعاش) و (كتمان السر وحفظ اللسان) و(فلسفة الجد والهزل) التي سمي الكتاب بعنوانها و(فلسفة فصل ما بين العداوة والحسد) ،أهدى أبوعثمان كتبه (رسائله) هذه الى وزيرين من وزراء الدولة العباسية ، الاول هو محمد بن ابي دؤاد الذي اشتهر بقسوته وقيامه بمحاكمة أحمد بن حنبل والقائد الافشين والثاني هو الوزير الاديب محمد بن عبد الملك الزيّات .

ارسل الجاحظ هذه الرسائل للوزيرين لا أستهدافا للكسب المادي –وهو حق مشروع في عرف ذلك الزمن والازمنة التالية بل لجعل الرسائل دستورا أخلاقيا – حسب الزعبي – يستضيء به الوزيران ومن شابههما في ادارة الدول .

وقد جاءت الرسائل مجسة لاسلوب الجاحظ السهل الممتنع ولغته العالية الاثيرة التي لاتفترب منها لغة في حسن الاداء ورشاقته :

جاء في رسالته التي كتبها الى ابي الوليدمحمد بن احمد بن أبي دؤاد تحت عنوان (فلسفة المعاد والمعاش في الادب وتدبير الناس ومعاملاتهم) أنه رأى ان يجمع للوزير كتابا في الادب يجمع لعلم كثير من المعاد والمعاش حيث يصف له فيه علل الاشياء وخبره باسبابها وما اجمعت عليه الامم .

يقول الجاحظ بعد هذا (الفت لك كتابي هذا وانا واصف لك الطبائع التي ركب عليها الخلق وفطرت عليها البرايا كلهم ، فهم متساوون فيها والى وجودها في انفسهم مضطرون وفي المعرفة بما يتولد عنها متفقون ثم مبين لك كيف تفترق بهم الحالات وتتفاوت بهم المنازل) ثم يصف الجاحظ طباع الناس والصفوة منهم وصفا دقيقا ويحلل خفايا النفس وتجلياتها المحمودة والسيئة ، ثم يقدم للوزير مجموعة نصائح في التعفف والعدل ، ثم يستطرد في تحليل عادات الناس وسلوكهم ويقدم له وصايا ثمينة في كيفية التصرف مع الناس في طباعهم المختلفة .

الرسالة الثانيةفي (كتمان السر وحفظ اللسان) وهو يقول عن اللسان أنه اداة مستعملة لاحمد له ولاذم عليه ، وهو يعني بذلك حكمة من يستخدمه او العكس وهو يقول ان الصمت اسهل مراما من اطلاق اللسان ويشير الى طبع الانسان في الاخبار والاستخبار ويقول أن هذه الجبلة (الصفة – الطبع) التي جبل عليها الانسان نقلت الاخبار عن الماضين الى الباقين .

الرسالة الثالثة هي الاكثر شيوعا وقد سمي الكتاب بعنوانها (فلسفة الجد والهزل) وهي رسالة مهداة الى الوزير الزيات ويبدأها الجاحظ بخطاب مباشر للزيات في ضرورة الانتباه اليه وعدم اغفاله وعدم الضيق به ، وهو يحلل الغيظ بأنه عذاب لكثرة المه ،ويدعو الزيات الى الصبر والتأني ودفع الغضب عنه والى البعد عن الحزن لان داء الحزن داء مماطل وسقمه مطاول وداء الغيظ سفيه طياش وعجول فحاش.

وهو يوصي الوزير بألا يتعرض لعداوة عقلاء الرواة ولضغينة حفاظ المثالب وأمثالهم، وهو يرسم خطوطا نفسية متشابكة لدرس النفس البشرية في غلوها ورصانة صاحبها، وهو يدعو الوزير الى الرحمة ساعة الغضب والرأفة بمن يستحق العقاب، وهو يدعوه الى الحزمفي من يسيئ اشهارا ..

هذه نظرة عامة في كتاب تمتع بثراء لغة الجاحظ واتساع معلوماته وعمق تحليلاته التي تقترب من لغة العصر الحديث بل تضاهيها وتزداد عنها جمالا.

الاعترافات السرية لسلفادور دالي

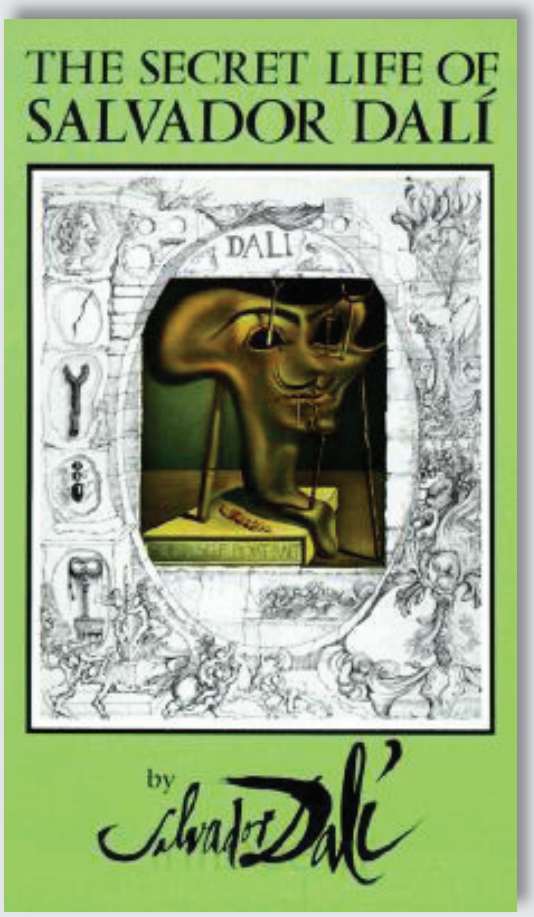

شاربان يشبهان شوكة طعام، يرفعهما لاعلى حينا، وحينا يجعلهما مشجبا لوردتين صناعتين ! عينان تذكرانك بالعيون الزجاجية لانهما تظهران دائما بحدقتين متسعتين، تبهرانك، كوميض بلورة سحرية، جسد نحيل يطارد اوهاما كأنه دون كيشوت مستبدلا بالريشة السيف الخشبي في رائعة ثربانتس ، عاشق جالا! رفيق لوركا وبونيول ! وصاحب الصيحة الشهيرة: لست سوريالية، انا السوريالية! مؤسس العلامات الاكبر في تاريخ الفن بزرافته المحترقة، وساعاته الممطوطة، وصحرائه التي تسبح في رمالها كائنات لم تر الحياة قبله! مئة وجه، بل اكثر لسلفادور دالي (-1904 1989) الذي كان رساما، ونحاتا ، وكاتبا ، ومصورا، ومصمما، ومخرجا سينمائيا ، ولكنه قبل كل ذلك كان ممثلاً لشخصية تمنى ان يكونها، واذا به يقدم للحياة واقعا افتراضياً من الافلام التي حسبها نقاد الفن وجمهور الفنان سيرته الذاتية!

ليس لدي الكولونيل من يكاتبه / ساعة الشؤم

تاليف / غابريل غارسيل ماركيز
ترجمة / صالح علماني
تواصل المدى نشر إعمال الروائي الكولمبي الكبير ، والحائز على جائزة نوبل للأدب، لأهمية رواياته التي تعالج قضايا إنسانية متباينة .
ويضم هذا الكتاب ، روايتيه ،هي : ليس لدى الكولونيل من يكاتبه ، وساعة شؤم ، بترجمة جديدة اضفت عليهما مسحة جديدة من التألق.

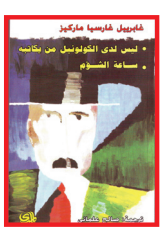

أمر على قبري

يمر الصبي سلفادور فيليب خاسنتو دالي، في بلدته القطالونية شمال اسبانيا، كل صباح في الطريق الى المدرسة بمدافن فيجراس حيث يرى اسمه منقوشا فوق شاهد احد القبور!
فأخاه الذي ولد قبله ورحل في عمر الزهور قبل سنوات ثلاث من مولد فناننا في عام ١٩٠٤، قد دفن هناك، وأصر الوالد الذي عشق الصبي الراحل سلفادور ان يسمي الطفل الحي بالاسم نفسه.
في (الاعترافات السرية لسلفادور دالي) الكتاب الذي أملاه على مدى عشرين عاما على صديقه الصحافي اندريه بارينود، ليصبح بعد صدوره السيرة الذاتية للفنان، يتذكر دالي: "عشت موتي قبل حياتي ، ففي سن السابعة توفي اخي بالالتهاب السحائي، قبل سنوات ثلاث من ولادتي ، هزت الصدمة امي في اعماقها. نضج اخي المبكر، عبقريته ، عطفه ورقته كانت كلها بالنسبة لها اشراقات هائلة، مما جعل اختفاءه صدمة مفجعة لم تكن ابدا لتتخطاها ، لم يسكن يأس والدي فقط سوى عند ولادتي، لكن سوء الحظ لم يزل يخترق كل خلية في جسديهما ، وداخل رحم امي، كنت بالفعل احس ذعرهما ، كنت جنينا يسبح في غشاء مشيمي لعين، كان توقهما لا يتركني ابدا، وكثيرا ما أراحتني حياة ووفاة هذا الاخ الاكبر، فقد كانت خيوطه تتصل بكل مكان حولي حين بدأت أعي: الملابس، الصور، الالعاب، وبقي دائما في ذاكرتي والدي من خلال استدعاءات مؤثرة لاتمحى".
ونحن نذكر، في تاريخ الفن، هذا الموت الحاضر، الذي سبقه اليه فنان اخر هو فنسنت فان جوخ فقد كان مثل دالي مسبوقا بوفاة اخ يدعى فنسنت وفي صباه كان الفنان الهولندي مجبرا على الذهاب الى المدرسة كل صباح والمرور بمدافن يرى فيها اسمه منقوشا فوق شاهد قبر!
هذا اللعب مع الموت، او لنقل الحياة مع الموت، ربما كان المؤثر الاول في حياة سلفادور دالي، اذ جعل منه يعشق الحياة بشهوانية وغريزة خالصتين، يحاول ان يكتشف اسرار الكون من خلال اكتشاف اسرار حياته هو.. حتى ان سيرته تحمل فصولها عناوين موحية برغبته في الانقضاض على مفردات الكون والحياة بكل ما كان يمتلك من قوى: كيف تحيا مع الموت؟ كيف يتخلص المرء من ابيه؟ كيف تصعد بالنزوة الى اقصى مدى لها" كيف يكتشف المرء عبقريته؟ كيف تستثير كل ما هو ايروتيكي لديك وتبقى عفيفا؟ كيف تغزو باريس؟ كيف تعشق جالا؟ كيف تصبح سوريالية؟ كيف تتجنب العيش قطالونيا؟ كيف تصاب بالهلوسة النقدية؟
كيف تثري؟ كيف تغزو اميركا؟ كيف تسيطر على الرجال وتستعيد النساء وتذهل الاطفال؟ كيف تكون سوبر انسان؟ كيف تقرأ لوحات دالي؟ كيف تحكم على بيكاسو وميرو وماكس ارنست وحفنة اخرين؟ كيف يفكر دالي في الخلود؟

لحظة ميلاد

فصول حياة، رأيت في سطورها ايام دالي الذي اراده مع دالي الذي نراه، هل يتذكر احدنا لحظة ميلاده؟ يزعم هو انه يحتفظ في ذاكرته باللحظة هذه: "ولدت كاي فرد في فزع، وألم وخدر! فاذا حركت قبضتي فجأة بعيدا وفتحت عيني على اتساعهما في الضوء الباهر، اشعر مرة اخرى بشيء ما من تلك الهزة الممتلئة، والاختناق والصدمة والعمى، والصراخ، والدم، والخوف والتي تسجل كلها دخولي لهذا العالم.."
بل انه يتذكر حياته داخل الرحم، وما بعد نزوله بأيام: "حياتي داخل الرحم التي انتهت في اليوم الحادي عشر من مايو من عام ١٩٠٤ ، بعد الثامنة بخمس واربعين دقيقة، حيث ولدت من بطن شرعية حملتها دونيا فيليبا دوم روسيتيك، كانت امي في الثلاثين ، وتقول شهادة الميلاد ان والدي هو دون سلفادور دالي أي كوزي، قد اعطى يومان بعد ذلك التاريخ كي يسجل شجرتي العائلية لكل من الابوين، من ناحية الاب كان دون جالوا دالي، وهو من اهل فيجوراس، ودونيا تريزا كوزي ماركوس من اهل ووسوس، اما من جهة الام فكانا دون انيلمو دومينيك سيرا ودونيا ماريا فيريس سادورني، وهما من برشلونة ، اما الشهود فكانا دون خوسيه ميركادير من اهل لابيسبال ، وهي احدى مقاطعات فيرونا، وكان تاجر دباغة يقيم بهذه المدينة والثاني دون اميليوبيج من اهل فيجوراس ومهنته الموسيقى ، ويقيم ايضا بالمدينة نفسها، وكانا من السن نفسه"!
لايتوانى الصبي سلفادور في سن الخامسة عن خدش خد عنزته بدبوس، تعبيرا عن غضبه حين وجد محل الحلوى مغلقا، بينما كان السبب الرئيس – كما يؤكد –ان خدها ناعم احمر طيع كالاردواز، واستطاع ان يكتب اسمه بالدم على وجه الحيوان البائس، كان اسم دالي يعني الرغبة بالقطالونية ، لكن هذه الرغبة التي تداعب الموت والتي شكلت جذور الرسام، هي التي دفعته ايضا في سن الخامسة – كما يعترف في مذكراته – الى ارتكاب اثم فادح: طدفعت رفيقي في اللعب للفضاء، كان جميلا، معقوص الشعر، ضئيلا واشقر، بينما كنت اساعده لركوب دراجته ذات العجلات الثلاثة، كنت قد تأكدت ان احدا لايرنا، وكنا فوق جسر بلا قضبان، طرحت به من ارتفاع عدة امتار ليسقط على الصخور اسفل الجسر ، ثم تظاهرت بالجزع مهرولا للدار احضر نجدة، لازلت ارى نفسي، فوق المقعد الصخري الضئيل، أتأرجح طوال الوقت، للخلف وللامام بينما اتلفظ بثمرة فاكهة ، واشاهد هياج الابوين المحموم، مستمتعا بالظلام الامن في ركن غرفة الجلوس، دون ان تكون هناك ادنى ذرة من ندم، كما لو ان ما فعلت اكبر من أي شيء ساد حياتي".
بعد ذلك بعام، يركل الصبي سلفادور شقيقته الص غيرة ذات الاعوام الثلاثة، وكانت تزحف على يديها وقدميها، مباشرة في الرأس وسار في طريقه مبتهجا، لكن لسوء حظه رآه والده فحبسه ، يقول دالي: "بدأت اتشنج مكتوما حتى انفطرت، كانت كل الدموع في جسدي تتصبب خارجه، وصرخت عاليا حتى فقدت صوتي وبدأت و الدتي يزعجها الامر، وانزعج ابي ايضا وبدأت ساعتها أعي كيف ادير موقفا كهذا لصالحي، كان عندي ستة اعوام، وانتقمت اكثر حين ادعيت بعد عدة ايام بأني مريض ، حتى ان والدي اضطر ان يترك المائدة وقت الطعام، لأنه لم يقو على سماع سعالي الهستيري والذي يحتمل ان يوقظ داخله صدى الوفاة الاليمة لابنه الاول، وداومت على اعادة تلك التمثيلية المفزعة التي تفطر القلوب كي استمتع بفزع والدي"!
يقول الفنان: "كان ابي بالنسبة للطفولة التي عشتها، عملاقا في قوته، وعنفه وسلطته، وحبه القاهر. و الحب الذي كان يكنه لسلفادور ، اول صبي يولد له، والذي منحه قوة شخصية، وعنفوان شباب، لم يكن ليفارقه ابدا، وبأية درجة، كان علي ان اخوض في لجة موج هذا الحب وإشعاعاته التي تخترقني سياطها اللاهبة، حين كان ينظر لي، كان يرى في ازدواجيته كما كنت ارى ذلك نفسي، لم اكن في عينيه سوى نصف شخص فأن اكون كاملا شيء اكثر من اللازم، كانت روحي تتأرجح بين الالم والغضب تحت خيط الليزر الذي يشطرني بلا هوادة، وبه حل من ناحيتي جرح نازف مفاده ان ابي غير المبالي الفاقد للاحساس لم يكن واعيا بالامي، وهو جرح ظل ينكأه باستمرار حبه المستحيل لصبي مات، ولفترة ظننتها

دهرا كان هذا الحب ينتقل الي كما ينتقل الالم بالمطرقة الى مسمار، سواء بكلمة لطرفها حدة الخنجر الذي يشرح قلبين وبالرغم من ابي، وبرغم ذلك الشعور بأني كنت مهملا ، وبحبي المرضي لنفسي –مشدودا داخل اطار صورة الاخر القسرية امامي –ظللت احاول كظم انفاسي لأرد بغضب وقوة، كما يفعل المرء حين يرسم، حتى اغزو مكاني تحت شمس الحياة، وقد قادني هذا اليأس الى الشعور بالاضطراب ولكن الاخلاب في الوقت نفسه بالقسوة الاسبانية الاصيلة لوالدي الذي اعده المحور الطبيعي والبيولوجي والسيكولوجي لشخصيتي في المستقبل، فلم استطع ابدا ان اتوقف عن الاعجاب به، ولذلك وبينما الخوف من ظله وهو مثل شجرة البلوط، حاولت في ذات الوقت ان احرر كياني من التملك الذي كان له علي، بعقلي الذي يستلهمه مثالا، وقوته التي حصنت نفسي ضد أنيابها الشرهة، وخدشت روحي في الصميم".

جبل المتناقضات

وهكذا بين الحياة والموت (لاو الموت والموت) تتأرجح ذكريات سلفادور دالي الاولى، مثلما تتراوح فيما بعد اعماله، يتذكر لحظة يدعي فيها الموت صديقه الشاعر غارسيا لوركا الذي التقى به في الجامعة ، ولم يفارقه ابدا: لازلت استطيع تذكر وجهه، ميتا وفزعا، وراقدا على سريره محاولا المرور بمراحل تحلله البطئ العفونة من وجهة نظره، تستمر اياما خمسة ثم يصف التابوت، وكفنه والمشهد الكامل لغلقه وتقدم النعش في شوارع غرناطة الوعرة وحين يتأكد لنا جميعا قد تملكنا الفزع، ينهض فجأة منفجرا بضحكة بريئة تظهر كل اسنانه البيض الرائعة، ويرسلنا خارج الباب عدوا بينما يعود لسريره لينام هادئا في حرية".

هذا اللعب على المتناقضات الذي ترسخ في عمق طفولة الفنان، الذي بدأ الرسم مبكرا، هو الذي صحبه طوال رحلة الابداع، حضور جبال التناقضات معا، حتى تتميز الاشياء! فهو على استعداد ان يصل لأقصى درجات الالم، ليحصل على افضل مشاعر الاعجاب، لذا يقفز في الفضاء وهو يهبط الدرج بمدرسة براذر فيجوارس، ليقع حتى يجذب الانظار نحوه. تصيب جسده كله الكدمات والرضوض بعنف أدهش الطلبة والمدرسين ، وبعد ايام قلائل كرر ما فعله وبصورة اعلى وبدرجة تكفي لأن تتحول كل العيون تجاهه، ويفعلها مرات ومرات!

وفي كل مرة كان يهبط الدرج، يتحول انتباه الفصل كله نحوه لكنه في اخر مرة يسير في صمت القبور، هنالك كانت شخصية دالي تتشكل على النحو الذي ستستأثر فيه بالعيون والعقول واغلفة الدوريات لعقود طويلة.

في سن الرابعة عشرة اقام سلفادور دالي اول معرض له (في كتاب لوحات دالي، اعمال له وهو في التاسعة)، والتحق باكاديمية سان فرناندو للفنون الجميلة بمدريد ١٩٢١ حيث تعرف على صديقيه الشاعر لوركا والسينمائي بونويل، ولكن بعد خمس سنوات يصفه اساتذة الاكاديمية بعدم الكفاءة وعدم القدرة على تقدير موهبته فيطرد في عام ١٩٢٦ وحينها يتوجه لزيارة مرسم بيكاسو في باريس، ليقول له: "لقد اتيت لرؤيتك قبل ان ازور اللوفر". وكان رد بيكاسو: "انت على حق تماماً" ومثلما كان فرويد يخاطب مرضى نفسيين من ضحايا الحرب الاهلية والعالمية، كان السورياليون ومنهم دالي يتوجهون بفنهم لمصابين باضطرابات عصبية من مرضى الحروب نفسها. ولازمت عقدة الفقر سلفادور دالي حتى التقى بجالا المحبة للاستعراض مثله، وفي عام ١٩٣٣ اقنعت الموسر جان لوي بتكوين جماعة بروج الشمس من مقتنى اللوحات، لدعم سلفادور دالي بالتبرعات السنوية حتى سفره في عام ١٩٤٠ الى الولايات المتحدة الاميركية – لتصنع منه الصحافة هناك اسطورة اعلامية خاصة بعد نشر صورته على غلاف التايم (ديسمبر ١٩٣٦) وهو ما جلب له الثراء المنتظر. حين كانت جالا، معجزة حياته، كما يسميها دالي، تجتاز عملية جراحية خطيرة في ١٩٣٦ كانا يقضيان وقتهما في حالة من اللامبالاة الظاهرية يخلقان موضوعات سوريالية في اليوم الذي سبق اجراء الجراحة يتذكر: كانت تسلي نفسها بجمع عناصر مدهشة ومتباينة معا من اجل فبركة ما يبدو ادوات الية – بيولوجية .النهود مع ريشة في الحلمة، وعلى قمة الريشة هوائيات معدنية منغمسة داخل اناء رقيق (ويبدو هذا التركيب مرجعا ضمنيا لجراحتها الاتية). ولكن ما حدث انه، في طريقنا للمستشفى داخل التاكسي – كنا نخطط للتوقف عند اندريه بريتون كي نريه اختراع جالا، الا ان ارتطاما حادا للسيارة جعل البدعة تنحرف اثر الصدمة وان يغمرنا الدقيق، ويمكن لك ان تتخيل كيف كنا نبدو حين وصلنا الى المستشفى!

ماهو مهم أنه مساء ذلك اليوم كان دالي مشغولا باعداد النسخة النهائية من اختراعه، ساعة نوم مصنوعة من حلية ضخمة من الخبز الفرنسي وداخلها ١٢ محبرة زجاجية يملؤها حبر بلون مختلف ينفس فيه قلم ريشة. تناول عشاءه بشهية –من دون التفكير ولو لثانية في عملية جالا، حتى الثانية صباحا، كان لايزال اعمل على اتقان ساعته بإضافة ستين محبرة ملونة بالالوان المائية على اوراق اللعب معلقة من الخبز. ثم خلد للنوم، ولكن في الخامسة صباحا، كانت اعصابه المشدودة توقظه، كان يتصبب مكدودا بداخله انفاس ندم. نهض بغير ثبات باكيا، كأن عقله تثيره صور جالا في أوجه حياتية عدة، وانطلق نحو المستشفى يصرخ، ولأسبوع كان العراق يغطيه، والموت يربض في حلقه، واخيرا تم تخطي هذا المرض. ودخل غرفة جالا لأخذ كفنها بكل الرقة في العالم، ليصبح الضعف ذاته قوته، فهو يثري بالمتناقضات، وحين توفيت جالا في يونيو عام ١٩٨٢ وكان مريضا، اشتد عليه الالم النفسي والجسدي، خاصة بعدما اصيب بجروح خطيرة اثناء نومه، ومات سلفادور دالي في ٢٣ يناير عام ١٩٨٩ بعد عزلة اجبارية في قصره، و٦٠ عاما من الشهرة والغنى والمجد. كان يقول: افضل الا اموت، في الوقت الحالي! هناك في الاقل عشر طرق لإطالة الحياة معروفة تماما، بفترات النوم الذي قد تضيف الكثير من التوابل للحظات اعادة الاستيقاظ سأختار بينها بكفاءة كبرى حين يأتي موعدها. هذا الاتجاه هو جزء من اللعبة التي أؤديها مع الموت، لكن سلفادور دالي يرحل بعد خمسة وثمانين عاما عاشها يجادل الموت بالحياة.

في كل مرة كان يهبط الدرج، يتحول انتباه الفصل كله نحوه لكنه في اخر مرة يسير في صمت القبور، هنالك كانت شخصية دالي تتشكل على النحو الذي ستستأثر فيه بالعيون والعقول واغلفة الدوريات لعقود طويلة.

الكتاب / يوميات سلفادورد دالي
اعداد/ مايكل ديون
ترجمه / احمد عمر شاهين
الناشر/ مكتبة الاسرة سلسلة القراءة للجميع

صادق الصائغ:

قرأت الجريمة والعقاب بالمصادفة

سجل اعترافاته: محمود النمر

التقيته في اتحاد الادباء، بعد ان حضر احدى الاصبوحات الادبية، لم يزل متوقدا، رغم تقادم السنين على الوجه الحداثوي، الشاعر يمسك اللغة لايتعكز عليها، بل يلبسها فستانا مطرزا بالكلمات العذارى اللائي يتمتعن بقوة الجاذبية، لتتكون منهنّ القصيدة التي وضعت الشاعر على كرسي الاعتراف الاخير ليغرق في البوح.

×هل تتذكر اول كتاب وقع بين يديك واحدث في نفسكَ هزةً زلزالية، وقادك َالى عالم الادب والمعرفة والجمال .؟

–ان اول كتاب قادني الى عالم المعرفة والادب وقلب في الحقيقة حياتي وجعلني افكر في عالم جديد هو كتاب الكاتب الروسي العظيم – ديستوفيسكي – (الجريمة والعقاب) و انا قرأته بالمصادفة، لأن اختي كانت محامية وجلبت هذا الكتاب لتقرأه كمادة قانونية يدرسونها في كلية الحقوق، وذلك كانت التصورات الاولى الجديدة عن الحياة من قراءة هذا الكتاب وحتى الان ،وهناك مكونات اخرى اهمها الحياة والمحيط والبيئة والناس من حواليك الذين التقيتهم بشكل يومي كانوا في حياتي دافعا مهما لوصولي الى الكتاب والى القراءة الجيدة والتذوق الجديد في حياتي، وهذه المكونات لايمكن ان تعد لانها قوائم طويلة من الشعراء والقصاصين والنقاد والمجلات والكتب وكل هذه المكونات اجتمعت لكلي تحول وعيي من مرحلة الى مرحلة وهذه المثابات تأسس عليها صادق الصائغ .

وتحدث عن آخر كتاب مازال عاكفا على قرآءته، هو كتاب للمفكر صادق جلال العظم وهو بعنوان (نقد الفكر الديني) وهي قضايا فكرية تتعلق بالهوية الثقافية للعراقيين وللعرب ،حتى على المستوى العالمي ،والافكار التي تطرح حتى الان ،بين ماهو علماني وبين ما هو ميتافيزيقي وغيبي وما الحلول ؟ وكيف عولجت وكثير من القضايا بشكل تقليدي وسلفي وقلب هذه الحقائق او المعلومات والافكار ،صادق جلال العظم متبنيها تبنيا ستراتيجيا ،والحقيقة هو دائما يوصلكَ الى الاساسيات في الحياة،والتي تتعلق بمسألة الحرية والانسان ،فهذا الكتاب انا اعتبره مهما جدا بالرغم من صدوره منذ زمن بعيد ،والشيء الرمزي الذي

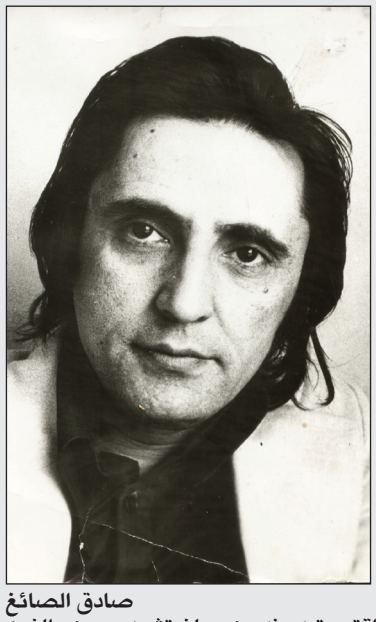

صادق الصائغ

اقتبسته منه وهو– لنيتشه – وهم الذين ينظرون اليه صغيرا، هؤلاء غير قادرين على الطيران ،وهو يقصد بذلك المفكرين والحداثيين ،والحقيقة هو هذا التأسيس ،والكتاب مؤسس على هذه الفكرة ،وهي مداخل للحياة الثقافية ، ونقد لاودنيس ونقد لمؤلفات ادور سعيد ،واثارة للعقل العربي حول القراءة الخاطئة لسلمان رشدي ،والكتاب يحمل عنوان – ذهنية التحريم – وهو نقد للفكر العربي في اهم محاوره ،وهي موضوعة الدين والسياسة والاجتماع والفلسفة ،وقد صدر هذا الكتاب في فترة التسعينيات .

والكتاب المهم الذي يلازمني في القراءة دائما هي مؤلفات – بورخس – سواء كان شعرا او كتابات اخرى نثرية وهذا الرجل بالنسبة لي قمة لاحد يستطيع ان يتسلقه ،فهو المرجع الذي الوذ اليه.

× ما هي آخر مؤلفاتك ..؟

– لدي اربعة دواوين واشكو من قلة الناشرين،لاسباب متعددة وكأن حالي حال الاخرين ،مع العلم اني لم اطلب اي مبلغ، ومتى كان الاديب العراقي يعتاش على كتاباته، ولكن عملية النشر هي اعادة لنشر حياتك الشخصية ،وهو اكبر مردود وكذلك الجانب المعنوي وهذا المردود الاكبر، مع العلم اهمية الجانب المادي، ولكن اين تجد الجواب على هذا السؤال؟ لاحد ينظر ولايسمع، والاشكالية قائمة من زمان وليست وليدة الساعة.

العدد (1796)السنة السابعة -الاحد (16)
آيار 2010

طوقتها بطرياركية الشرق وأحاطها المؤرخون بالاسرار

أسمهان الغامضة لم تكن سوى فتاة ضعيفة

القصبجي عندما سمعها اول مرة: هذا صوت من الفردوس

علي عبدالسادة

اسمهان اكثر وضوحا في هذه السيرة.. الكاتبة الامريكية، شريفة زهور، تفتح حياة المغنية المثيرة للجدل على نتوءات حادة في مجتمعات تسربت منها واليها حياة فتاة آل الاطرش.

تخلص هذه السيرة المعنونة بـ"أسرارهما" والمفتوحة على ثلاثية "المرأة، الحرب، الغناء" الى سر مخالف لما بذل عنها، سر جديد، وهو، بساطة، تقبل اسمهان لضعفها وتمردها على العوائق فخلفت لنا ارثا موسيقيا فريدا. أشعر ان الكاتبة الامريكية، صاحبة الاصول العربية، تقترح علينا هذا السر بديلا لنظريات المؤامرة وصلة اسمهان بالفرنسيين والالمان والبريطانيين، ودروها في الحرب العالمية الثانية، انها تقترح سرا يكون اكثر قربا منها، كأيقونة للغناء. ويبدو ان هذه السيرة تصلح لان تكون صلة بين ما دون عنها وحياتها الغامضة.

بيد ان هذه السيرة التي سطرت بقلم عارفة خبيرة بموسيقى الشرق، شغوفة بملاحقة تفاصيل حياتهم، تفتح سنوات اسمهان على احداث حساسة في التاريخ، لم تخل هذه السيرة من أشارات تنمحنا بعض الوقت للتفكر بدور هذه المطربة: "حين شعر اللبنانيون والسوريون بان الغرب عاملهم كالبيادق في الحرب كانت اسمهان متهمة بالعمالة المزدوجة بين الحلفاء". وفي مفصل اخر من السيرة تسطر شريفة: "آل الاطرش يعترفون بان اسمهان، في فترة ما، اخذت تتجرد من اوهام العلاقة مع البريطانيين، خصوصا وان دروز لبنان باتوا متاكدين من الحضور الفرنسي القوي في المنطقة".

لكن الطريقة التي يتم فيها سرد حياة اسمهان، خصوصا في ما يتعلق بما يقال انه خارج نصها كمطربة، لا يبدو انه اجتهاد شخصي من الفتاة، انها، في الحقيقة، جزء من عائلة انخرطت في لعبة السياسة وكانت تلعب دورا غير قليل في لعبة ايام الحرب مع الحلفاء؛ تلك العائلة جزء من نظام اجتماعي واجه انتدابات الغرب ولم يترك مجالا للشك بانه لعب الدور هذا لم يكن بمعزل عن اجواء المؤامرات، فهل تخرج اسمهان عن السياق، الفتاة المراهقة في حينها لم تكن تمتلك ارادة فعل ذلك.

وبصورة ادق اسمهان فعلت ما بوسعها لترسم صورتها كمطربة، لكنها لم تتغلب على نقطة ضعفها تلك: الوجود في المكان والزمان الخاطئين، فسارت مع اتجاه الريح.

امتدادات واسعة للسيرة

وهذا جانب مهم من سيرة اسمهان، هو انها تمتد على مساحات اشتغال اخرى، وكان بقصد توسيع عين ملقاة على اسمهان نفسها، واذا الامر يصبح تفتيش عن دقائق تاريخية من زاوية فتاة مثيرة للجدل.

وهنا تذهب الكاتبة الى مراقبة الاخوة امل وفريد وفؤاد الاطرش حين انتج صراع الدروز مع الفرنسيين – منتصف عشرينات القرن الماضي – ترحالا متتابعا للعائلة، ولد خلالها صوت فردوسي لأمل او اسمهان، كما وصفها القصبجي اول مرة سمعها، وشغف فريد بالة العود، وغيرة فؤاد من مواهب الشقيقين الاخرين، وانتهى بهم الامر يتابعان الافلام في دور العرض بالازبكية، التي أنشأ فيها لاحقا مكان للعرض المسرحي.

وتجد الكاتبة هنا فرصة لتوسيع الرؤية: "في القاهرة لم يكن هناك تطلع الى ان تكون مدينة عالمية ، اذ انها كذلك". غير هذه الميزة القاهرية اتربط بازدراء المحلي وتعظيم شان المستورد حتى على صعيد القيم والعادات، وهذا ما شكل ثقافة فصامية.

في هذه الفترة تدخل اسمهان وفريد مع امهما عالما جديدا، وكان الثلاثة يمتلكون بوليصة الصوت الجميل لولوج هذا العالم، كانت بعض النوادي الليلية تعج بالجمهور الموسيقي وكانت اسماء جلها من السوريين ولم يكن لتلك العائلة منفذ لاقتحام مسارح الليل في القاهرة، لكن امرا ما ايجابي يحدث اول مرة لفريد: انضم الى فرقة ليلى مراد. بينما تراقب اسمهان صورة اعلانات ام كلثوم في شوارع القاهرة وتسأل علياء امها: "لمن هذه الصورة؟".

تعود اسمهان من احدى دور السينما وكانت استمعت الى صوت المغنية جانيت ماكدونالد، في المنزل بدت متأثرة بذلك وشرعت بالغناء واتفق ذلك مع حضور القبجي الذي علق بعد انهت الاداء: "هذا صوت من الفردوس".

عدد من المدونات التاريخية، كما تروي شريفة، تؤكد ان القصبجي لم يصدق اذنية واصطحب عدد من اهل الشان ليسمعوا ما سمع.

صراع الاخوين

فريد لم يكن مسرورا للضوء الذي بدا يتسع حول شقيقته اسمهان، لكن مشاعره فيها خليط من الغبطة لها والانزعاج منها. كانا يتصارعان بين الحين والاخر.

الكاتبة شريفة زهور اقترفت فعلا مغايرا لسير اسمهان التي جاء بها محمد التابعي او فيوميل لبيب، اذ تنفي عنها فكرة الجنوسة، ارتباطا بمجتمع بطرياركي فعل فعلته في هذه الاتجاه، أسمهان التعيسة الغارقة في الملذات قد تكون النسخة العربية من مارلين مونرو.

القصص القصيرة الكاملة

غابرييل غارسيا ماركيز ، ترجمة : صالح علماني
أربع مجاميع قصصية ضمها هذا الكتاب ،يطرح فيها ماركيز هموما انسانية متباينة مستخدما الواقعية السحرية ،تلك الطريقة التي اعتمدها في جميع رواياته والمجاميع الاربع هي : عينا كلب ازرق ٢ –جنازة الام الكبيرة ٣– القصة الحزينة ٤–اثنتا عشرة قصة قصيرة مهاجرة

وتشير الكاتبة الى فريد كان يتذمر من قدرة اسمهان على حفظ الاغاني والنصوص لمجرد سماعها لمرة او مرتين، بينما هو ينسى هذا الشطر او ذاك.

لكن فريد لم يكن يدرك انه لعب دورا في تشجيع اسمهان، لقد كانت تعتبر نفسها تلميذته وانها تتعلم منه الكثير.

لكن هذا الصراع لم ياخذ حيزا وبعجا ذا تأثير في سيرة الاخوين، ففي مرحلة اوليةمن حياتهما الفنية طلبا سوية مشورة محمد عبدالوهاب، وكان هذا الاخير مهتما بدارسة التغيرات في التيارات الموسيقية، وكان عارفا باهمية صلة الجمهور بتقنيات الظهور والغناء على حد سواء.

وفي منزل عبدالوهاب اخبرهما باهمية السينما بالنسبة للمغني

لدورها في خلق الحمهور، وهنا تقول الكاتبة:"تبادل فريد واسمهان النظرات وفكرا في كلام محمد". لاحقا تبين ان هذا اللقاء حاسم في حياة الاثنين.

بيئة بطرياركية

في الحقيقة ان خطوات اسمهان الحثيثة من اجل تحقيق النجاح في عالم الموسيقى كانت تعبر عن رغبة حقيقة في اعادة انتاج دورها في المجتمع، ورغم خروجها عن البيئة الدرزية القاسية نحو القاهرة التي بدت اول وهلة اكثر انفتاحا، لكن ثمة بطرياركية تحيط بها من كل صوب. وربما يفصح هذا الحوار بين فؤاد العائد توا من جبل الجنوب الى منزل العائلة في القاهرة، وكانت تقام هناك حفلة تغني فيها اسمهان، وبعد طرد الضيوف والموسيقيين بفضاضة قال لشقيقته:"لن ياتي رجل الى هذا المنزل .. اتفهمين؟". وهنا تتجلى ذكورية الدروز بصورة اكبر، يقول فؤاد:"اما، انت تعرفين ان نساءنا لا يصاحبن رجالا غرباء، لا يجالسنهم ويضحكنهم. لا يشتغلن ممثلات في السينما". ثم انتهى الى قول حاسم:"البنات عندنا لا يتزوجن من خارج الطائفة".

اسمهان ادركت انها لها معجبين ومحبين يغرقونها بالمجاملات وعبارات الغزل ومحاولات التودد، لكنها لم تكن تكترث، كانت تبحث عن جادة تحافظ على تطورها في عالم الموسيقى.

وفؤاد كان جلب لها عريس درزي، هو الامير حسن الاطرش، وقد يكون هذا سبب موقفه المتشنج، لكن الاجواء القاهرية اكثر بطرياركية من بيئة العائلة.

حالة ركود

في تلك الفترة – منتصف الثلاثينيات – شهدت البلاد حالة من الركود وباتت مصاريف نوادي الموسيقى اكبر من مردود الحفلات، وبدأ الناس يتذمرون من حال عصيب يمرون فيه، وساد الفقر بين المصريين، وظهرت في هذه اللحظة الحرجة حركة دينية جديدة، وهي حركة الاخوان المسلمين والتي عدت الموسيقى والافلام لعنة كبيرة، انصار هذه الحركة انتشروا في الاحياء ووزعوا كراريس عن العودة الى احكام الشريعة.

تقول الكاتبة شريفة ان جمهور اسمهان ادركوا هذه الضغوطات وبدأوا يراجعون خياراتهم السياسية والاجتماعية.

لكن كارثة جديدة توجه اسمهان، فبادئ الامر كانت امها علياء تغني في حفلات للاصدقاء السوريين، لكنها حين خرجت الى مسارح النوعات وتواصلت مع الجمهور المصري عد الدروز ذلك امرا خطيرا لا يمكن السكوت عنه، قرروا قتلها وفاز عبر قرعة جمعت المال شخص ما، هذا الاخير وصل القاهرة وتوجه الى منزل

هذا الكتاب لم يخلصنا من هاجس ان متابعة حياة اسمهان كانه يمشي في حقل ملغوم، فكل الكتب التي تحدثت عن حياتها أسقطت جانباً مهماً عمداً، فكتاب "فؤاد الأطرش" غيب تواريخ الأغاني الشهيرة ومناسباتها. فيما ركزت السير الاخرى على علاقتها بالمخابرات البريطانية فقط.

علياء : " طرق الباب وفتحت له اسمهان فتن بها، فاحبها فصرف مال جريمة قتلها في الزواج منها".

واظن ان الكاتبة شريفة زهور اقترفت فعلا مغايرا لسير اسمهان التي جاء بها محمد التابعي او فيوميل لبيب، اذ تنفي عنها فكرة الجنوسة، ارتباطا بمجتمع بطرياركي قد يفعل فعلته في هذه الاتجاه، فأسمهان تعيسة غرقت في الملذات، و"تعيش حياة الإسراف"، لتنجذب إلى رجال عديدين في حياتها القصيرة العاصفة. هنا قد تكون اسمهان النسخة العربية من مارلين مونرو.

نظرة سلبية

ودون شك توثق سيرة اسمهان النظرة السلبية لامرأة تستجيب للملذات وهاجس ابراز انوثتها وفتنتها جهرا.

وكما من الجدير الالتفات الى هذه السيرة جاءت عبر امراة وليست عبر رجل كما هو حال السيرتين الشهيرتين عن اسمهان. الامر الذي جعلها تسلط الضوء على جانب دورها كفرد في المجتمع باعتبارها انثى. عدد من الباحثين تناول هذا الكتاب على طاولة النقاش العام الماضي وافضوا الى ان سيرة شريفة زهور جاءت عبر كاتبة عارفة بظروف النساء وتحولاتهن وتقلباتهن، كما انها متخصصة بالموسيقى والغناء العربيين وابنة مطربة.

الكاتبة نفسها تقول:"هذا الكتاب يمثل مسعىً لإعادة الحياة إلى أسمهان، تلك الشخصية التاريخية، من الخيوط المتشابكة بالشهرة والعلاقات الإقليمية والعادات والتقاليد الإجتماعية".

اهمية هذا الكتاب تاتي من تركيزها جميع جوانب حياة "أسمهان" وذهبت أبعد من ذلك من خلال قيامها بمقابلة كل من له علاقة بأسمهان من قريب أو بعيد، وأينما كان في "دمشق والسويداء والقدس وبيروت والقاهرة" محاولة الوصول إلى أقصى مدى في حياة تلك الأميرة التي شغلت الناس في عمرها القصير.

لكن هذا الكتاب لم يخلصنا من هاجس ان من يتابع حياة اسمهان كانه يمشي في حقل ملغوم، فكل الكتب التي تحدثت عن حياتها أسقطت جانباً مهماً عمداً، فكتاب "فؤاد الأطرش" غيب تواريخ الأغاني الشهيرة ومناسباتها. فيما ركزت السير الاخرى على علاقتها بالمخابرات البريطانية فقط، وهنا في هذا الكتاب تغيب تلك التفاصيل وتظهر اسمهان بوضوح اكثر.

الكتاب اسرار اسمهان
التاليف شريفة زهور
الناشر دار المدى

ثقافة أمريكا الغذائية

كيف أنتقلت (البامية) من أفريقيا إلى بلاد العم سام

يكثر الحديث في المرحلة الراهنة عن «البعد الثقافي» للمسائل المتعلقة بالتغذية وعالم المطبخ في حياة الشعوب والمجتمعات و«البعد الثقافي» فيما يتعلق خاصة بدرجة اندماج المكوّنات المختلفة في إطار هوية واحدة. الباحث الأميركي «وليام فرانك ميتشل» يدرس «الثقافة الغذائية الأميركية جاء في عنوان كتابه الأخير. ويؤكد المؤلف أن الأميركيين ذوي الأصول الإفريقية يساهمون، كغيرهم من الأميركيين، في الدورة الاستهلاكية العامة، كما يبدو من المعروضات الغذائية التي تعرفها رفوف مخازن التوزيع والبيع الكبرى التقليدية المنتشرة في عموم أرجاء الولايات المتحدة الأميركية. وتتم ملاحظة أن كميّة الأغذية وموادها الأولية المعروضة تتناسب بشكل طبيعي مع أماكن تواجد الأميركيين-الأفارقة. هذا مع ملاحظة يؤكد عليها المؤلف بأشكال مختلفة في الكتاب وهي أن درجة ارتباط الأميركيين الأفارقة مع التقاليد الغذائية الأميركية تتراخى وتتضاءل مع تعاقب الأجيال. بالمقابل يتم التأكيد أيضا على وجود نوع من انتشار «الهوية الهجينة» على صعيد الغذاء لدى الأميركيين-الأفارقة، وذلك بمعنى «المزاوجة» بين السلوكيات الغذائية ذات الأصل الإفريقي والسلوكيات الغذائية للعالم الجديد.

ومثل هذا «اللقاء» بين الثقافتين الغذائيتين تعزز وتعمّق بالتوازي مع مسار اندماج ذوي الأصول الإفريقية،

في الفصل الأول من الكتاب يقدّم المؤلف لمحة تاريخية عن بدايات الوجود الثقافي الغذائي الإفريقي في «العالم الجديد»، أميركا منذ زمن تجارة العبيد. هذا التاريخ معروف، ولكنه «ليس مُعترفا» فيه باستمرار. وبعد ما يزيد عن أربعة قرون لا تزال آثار الثقافة الإفريقية ظاهرة في أميركا، خاصة عبر «التقاليد الغذائية» الإفريقية.

تدل العملية الإحصائية التي جرت عام ٢٠٠٠ أنه يوجد في الولايات المتحدة حوالي ٣٥ مليون أميركي من أصل إفريقي، أي ما يعادل حوالي ١٣ بالمائة من مجموع السكان. وما يؤكده المؤلف هو أن هذه النسبة الضعيفة كان لها تأثيرا كبيرا على «المطبخ الأميركي».

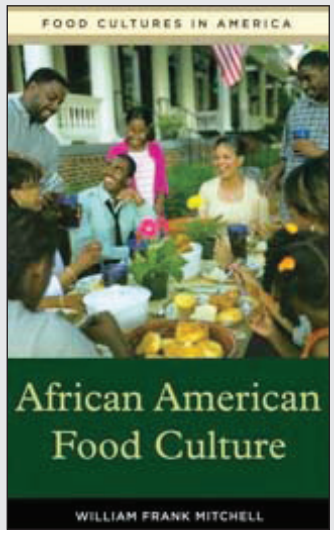

وهو لا يعيد ذلك إلى تنوع الأطعمة الإفريقية-الأميركية وإلى مذاقها الجيّد فحسب، ولكن أيضا وخاصة إلى امتدادها التاريخي وحيث أن الثقافة الإفريقية تجد انعكاسها أولا بأول في «عالم التغذية».الفصل الثاني من الكتاب مكرّس للبحث في عناصر الأغذية الإفريقية-الأميركية الأساسية، أو بالأصح التي يعتبرها المؤلف أنها الأساسية من بين الأطعمة الإفريقية-الأميركية «الكلاسيكية» المتنوعة.

مسألة التنوع هذه تتم إعادتها إلى بدايات القرن السابع عشر عندما بدأ توافد العبيد الأفارقة إلى العالم الجديد. وتنوع «المصادر» أدى إلى تنوّع المواد الغذائية المستخدمة.

هكذا مثلا نفهم أن مادة غذائية أساسية في المطبخ الإفريقي-الأميركي هي «البامية» كانت قد انتقلت من القارة الإفريقية إلى الحوض الشرقي من البحر المتوسط وإلى الهند قبل فترة طويلة من وصولها إلى العالم الجديد ب»صحبة» العبيد الأفارقة. لكن الأسياد من البيض، الذين كان شاغلهم اقتصاديا وتجاريا، لم يتنبّهوا إلى أن العبيد جلبوا معهم أيضا «نمط تغذيتهم» الذي شكّل أحد العوامل الأساسية في المحافظة على ثقافتهم.

ولا تمثل «البامية» أحد العناصر الأساسية في المطبخ الإفريقي-الأميركي فحسب، بل تمتلك بالنسبة للأفارقة قيمة «روحانية» و«تطهيرية». وهي تترافق في هذا المطبخ مع الأرز والقواقع البحرية «ثمار البحر».

ويذكر المؤلف أيضا بين المواد الغذائية المعنية السمسم والفول السوداني. وهذه كلها ليست غذاءً للجسد فقط بالنسبة للأفارقة بل هي «غذاء للروح». ويتم التأكيد في هذا السياق أن الكثير من الأفارقة يعتقدون أن الغذاء الروحاني يتألف من «وجبات إفريقية» تمّ تناقلها جيلا بعد جيل مثل بقية «الطقوس» الإفريقية- الأميركية الأخرى.

الكتاب: الثقافة الأميركية الغذائية
تأليف: وليام فرانك ميتشل
الناشر: غرينوود برس. نيويورك

التحليل النفسي للمهجر والمنفى

تأليف/ ليون غرينبرغ
ربيكا غرينبرغ
ترجمة/ تحرير السماوي

هذا الكتاب يتحدث عن (أشقاء الزورق الواحد) هؤلاء الذين يجمعهم الزورق وقد تفرقهم المصائر، أو أهلنا العراقيون الذين غرق زورقهم قبالة الشواطئ الاندنوسية عام ٢٠٠٢ فكانت كارثة انسانية صارت حديث الناس عبر القارات. انه كتاب شامل يقلب المسألة من شتى وجوهها، فيحرضنا على التحديق بالمرآة.

أوراق
العدد (1796) السنة السابعة - الاحد (16)
آيار 2010

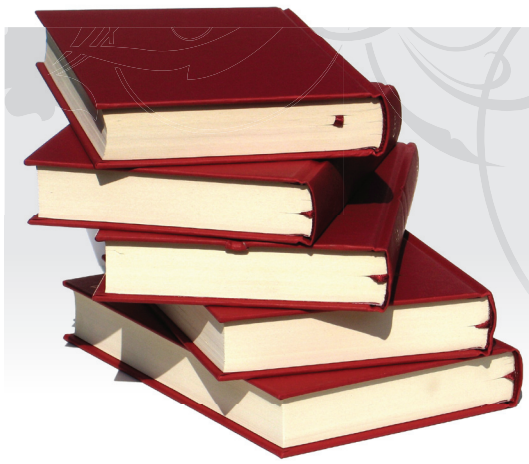

صاحب كتاب نهاية التاريخ يكتب عن:

نيتشه: الفلسفة في السياق

أحد مخاطر كتابة سيرة فيلسوف عظيم هو الإغراء في اختصار أفكار مهمة إلى مجرد علم نفس، نتيجة بعض الحوادث الطارئة في التطور الشخصي للفيلسوف. وقد تجنب هذا الشرك (الخطر) جوليان يونغ، بروفسور في جامعة أوكلاند وجامعة ويك، بكتابة سيرة "فلسفية" لفردريك نيتشه (1844-1900) إذ يتيح السياق قصة الحياة لكنه في المطاف الأخير ليس توضيحا للأفكار. وبهذا الفعل أتاح مقدمة جدية وقابلة للقراءة، إن لم تكن بالضبط مبتكرة، إلى "فلسفة نيتشه ذات المطرقة".

فرانسيس فوكوياما
ترجمة: نجاح الجبيلي

إن السياق بالأخص هو مهم في قضية نيتشه لأن قصة حياته كانت درامية. كان فردريك الشاب (أو فريتز كما كان يعرف) بكل المقاييس وببساطة الطالب الأكثر ذكاءً بالنسبة لأساتذته المحترمين الذين التقوه في أيما وقت مضى. راجعاً إلى أيامه في المدرسة التي يقيم بها في "بفرو تا". وقال أستاذه في الفقه الكلاسيكي في لايبزغ فريدريك ريتشل بأنه طوال ٣٩ سنة من التعليم "لم يعرف رجلاً شاباً ناضجا مبكراً مثله". منح نيتشه الدكتوراه حين كان عمره ٢٤ سنة وعلا البروفسورية في جامعة بازل في السنة نفسها؛ ورُقي إلى بروفسور كامل في الخامسة والعشرين- وهو العمل البطولي الذي لم يقم به حتى لاري سومرز.

غير أنه في عمر مبكر جداً تعرض نيتشه إلى سلسلة من العلل بضمنها صداعات العمى التي ستستمر عدة أيام ومشاكل الهضم التي تركته يتقيأ وطريح الفراش والعمى المتقدم الذي سمح له بالقراءة بألم فقط ساعتين في اليوم. جاءت هذه الأعراض مضعفة جداً له إذ أنه كان مجبراً على ترك كرسي الأستاذية بعمر ٣٤ سنة، والتي بعدها انسحب إلى معتزل وحياة هائمة مرتحلاً بين سويسرا وجنوب فرنسا بحثاً عن مناخ يسمح له بالتخفيف من معاناته هامشياً. كتب أعماله العظيمة في بضعة أيام من وضوح النظر سمحت له بين نوبات طويلة من العجز الجسدي. فقد أنهى كتاب "جينالوجيا الأخلاق" في معظمه في ظرف ثلاثة أسابيع عام ١٨٨٧.

إحدى المفاهيم المركزية في فلسفة نيتشه كانت "العود الأبدي" الذي هو الحاجة إلى توكيد قيمة حياة المرء في كل تفصيل مفرد كشيء يجب تكراره بصورة لانهائية عبر الزمن. وبافتراض التعذيب الشديد لوجوده الجسدي فإن مثل هذا التأكيد كان شهادة على رغبة نيتشه الضخمة التي تحولت إلى جنون حين انهار على جانب الطريق في تورين في كانون الثاني ١٨٩٩ مع أوهام أنه أصبح إلهاً صنعه العالم.

يلجأ يونغ إلى التفسير السايكولوجي المحض بصورة رئيسة في موضوع موقف نيتشه تجاه المرأة. ويلاحظ أن نيتشه كان له حلقة كبيرة من الصديقات في غاية الفعالية والذكاء وقد عدهن العديد كونهن من أصحاب مذهب النسوية المبكرات. ولكونه بروفسور بازل اتخذ نيتشه وقفة الأقلية بتفضيله تسجيل النساء ببرنامج الدكتوراه. لكن بعد علاقة الحب الكارثية مع "لو سالومي" التي سرق عواطفها صديق نيتشه الحميم "بول ري" أصبح يعد النسوية كنتائج مشؤومة للحداثة والنساء بحاجة "للسوط" (حسب كلمات إحدى شخصيات كتاب "هكذا تكلم زرادشت").

القضية الأخطر التي أثيرت في هذه الدراسة أو أي دراسة أخرى عن نيتشه تتعلق بطبيعة برنامجه السياسي الثقافي، "ماوراء تقييم كل القيم" الذي حصل في فجر موت المسيحية. يوجه يونغ النقد بصورة مناسبة لمحاولات النازيين لتصنيف نيتشه ضمنهم. ويشير إلى أنه بالرغم من وجود طارئ للعداء للسامية في سنواته المبكرة فإن نيتشه حين أصبح كبير السن كان يقف ضد معاداة السامية ومناوئاً لبسمارك وناقداً للشوفينية الألمانية التي ظهرت بعد أن توحد الرايخ عام ١٨٧١.

غير أن نيتشه كان يأمل بمجتمع مستقبلي تراتبي سيبذل فيه العديد من الناس الجهد الشاق لخدمة قلة من العظماء وهو المجتمع الذي سيحل فيه التنافر الحضاري للمجتمعات الحرة المعاصرة محل حضارة شائعة مفردة. يناقش يونغ بأن هذا كان ليس مشروعاً سياسياً في الواقع وبأن السوبرمان (الإنسان المتفوق) على قمة الهرم يجب أن يفكر به بصورة أقل مثل الدكتاتور الشبيه بهتلر وبصورة أكبر مثل الزعيم الروحي الذي يقارنه بصورة مختلفة مع الدالاي لاما أو آية الله الخميني في إيران. بالنسبة إلى نيتشه بنظر يونغ فإن الالتقاء الحضاري لم يكن شيئا يجب تعزيزه من خلال السلطة السياسية بل شيئا يخلق عفوياً من خلال المشاركة الجماعية في الفن كثيراً مثل مدن الأغريق القديمة إذ جرى جمعها معا من خلال الأداء المشترك للتراجيديا.

عندئذ يفسر هذا الدور المركزي الذي تؤديه الموسيقى في الفلسفة. إن نيتشه العازف الموهوب على البيانو والمؤلف أحياناً كانت لديه آمال عظيمة بموسيقى ريتشارد فاغنر وهذا ربما ساهم إلى حد ما كأساس لإعادة بناء الثقافة الألمانية على قاعدة فن موحد ولهذا السبب دخل بشكل توّاق إلى حلقة فاغنر وزوجته "كوزيما". وانفصل عن المؤلف لا بسبب أنه توقف عن الإيمان بالمشروع لكن لأنه شعر بأن فاغنر نفسه كان غير بارع جداً في تحقيقه.

لكن فهم مشروع نيتشه كونه حضارياً أكثر منه سياسياً يجب أن لا يمنعنا من رؤية تعقيداته الرهيبة. ربما يكون المرء لفترة وجيزة قادراً على خلق مجتمع ذي نطاق صغير مؤسس على الالتزام الشائع والطوعي للفن كما جدّ فاغنر في طلبه في "بيروذ"، وأن توسيع مثل هذا المشروع للمجتمع ككل بكل تنوعه الفعلي سيتطلب سلطة سياسية دكتاتورية. إن الأصول الصوفية لمجتمع نيتشه الديونيزيزي هي دعوة إلى الكشف عن العاطفة اللاعقلانية التي هي في غاية السعادة في التشبث بأي وقفة فردية في طريقه.

تصور سيرة يونغ مفاهيم من كتب نيتشه مع أمثلة مستقاة من العالم المعاصر لهذا سيعثر المرء على "ديانا أميرة ويلز" و "ترومان شو" و "حرب العراق" وهي تقفز في أماكن متنافرة. بعض من هذه هي مفيدة، لكن العديد منها مستقاة ببساطة من جدية الكتاب، مثل العشرات أو مثلها مثل الإشارة إلى الاحتراز الكوني المنتشر عبر النص.

وسواء اعترفنا بالأمر أم لا فإننا نستمر بالعيش ضمن الظل الفكري الذي ألقاه نيتشه. ما بعد الحداثة، التفكيكية، النسبية الثقافية، "الروح الحرة" التي تسخر من الأخلاق البرجوازية وحتى مهرجانات العصر الجديد مثل "الرجل المحترق" يمكن أن تنسب في المطاف الأخير له. ثمة خط يجري من كتاب "ما وراء الخير والشر" في تأكيد القاضي أنتوني كندي (في قضية "الأبوة المنظمة") بأن الحرية هي "الحق في تعريف مفهوم الوجود الخاص بالمرء ومعناه والكون ولغز الحياة الإنسانية".

يؤكد يونغ بصورة مناسبة فكرة بأن ما بعد الحداثة بتضمينها التنوع في القيم غير مختلفة عن حداثة القرن التاسع عشر التي كان نيتشه يكرهها. لم يكن ليحتفل بأساليب الحياة البديلة والثقافات غير الغربية أو الحق لكل شخص في المرحلة الرابعة كي يكون خالق قيمته الخاصة. الاعتراف بموت الإله قنبلة تنفجر من خلالها عدة مرات لا فقط المذهب التقليدي القمعي بل أيضاً القيم مثل الشفقة والمساواة للكرامة الإنسانية التي يقوم عليها دعم نظام سياسي حر متسامح. عندئذ يكون هذه هي النهاية النيتشوية الميتة التي منها ما زالت تبرز الفلسفة الغربية.

فردريك نيتشة

عن / نيويورك تايمز ٢٠ نيسان ٢٠١٠
عرض لكتاب: فريدريك نيتشه: بيوغرافيا فلسفية لجوليان يونغ

استعمالات الكتاب

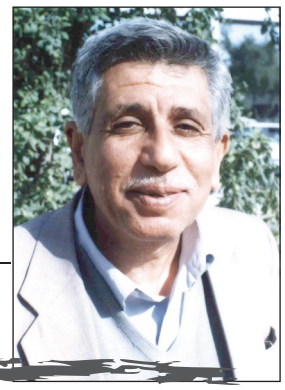

محمد خضير

١-غريزة الكتاب

شكل سيماء الكتاب (غلاف، حجمه، علامة دار نشره، سعره،وقبل كل شيء عنوانه واسم مؤلفه) هي التي تجذب قارئاً نا لاقتنائه ، ثم قراءته تأتي القراءة استجابة لجاذبية هذه العلامات التي تميز كتاباً عنكتاب، ان هذه العلامات هي التي تحرك في القارئ ما اسميه "غريزة الكتاب" أي الهاجس الخفي الذي يحرك الروح القرائية كي تخرج من مكمنها العميق وتروح تجوب الشوارع والاكشاك والمكتبات بحثا عن كتاب ظل يبعث باشارات الاقتناء والقراءة من مكان قريب او بعيد.

وقعت في شراك هذه الغريزة مذ كنت تلميذاً في المدرسة الابتدائية واذ يعود التلاميذ الى بيوتهم بعد انقضاء ساعات الدراسة، اروح اذرع الارصفة باحثا عن غلاف جذاب لكتاب يروي فضول غريزتي الشرهة، بين مئات الاغلفة والعناوين التي يفرشها باعة الكتب في مفترق الطرق والاسواق ، كان سحر الكتاب المعروض في العهواء الطلق ينبعث من سحر اخر تنشره المدينة من ثنايا سريرها المضمخ بعطر الورق القديم الذي تفترشه، وكنت مأخوذاً بهذا العطر كما يؤخذ مراهق بغريزته الى مخدع الافكار والاخيلة الباذخ بمفاتن عرائسه الورقية.

لم اصح من حلمي البعيد حتى اليوم، وما زلت اتبع ذلك العطر الورقي ما ان تعلق عيناي بأذيال كتاب ينهض عنوانه من قارعة الطريق ويسير امامي الى حيث اعلم ولا اعلم، كان اقوى عطر ورقي اجتذب غريزتي مذ عرفت القراءة، عطر سلسلة كتب (الهلال) ومجلاتها الواصلة بالطائرة بسعر عشرة قروش ، كنت ابذل جهوداً شاقة كي اغادر البيت وفي جيبي القروش التي سأدفعها ثمناً لكتاب واحد من هذه السلسلة ثم لما تعلمت حيلة الكتابة، عمدت الى ان انشر في الكتاب الذي أولفه عطر الخيال المعتق الذي يشبع غريزة القارئ من عطر ورق الصحف القديم.

نمت غريزتي، غريزة الكتاب، يوماً بعد يوم، وكتاباً بعد كتاب، وكنت اتأخر عن رفاقه صفي المدرسي كي انعم وحدي بصور العودة الى البيت المبثوثة في طريقي شجرة تنمو بهدوء خلف سياج، عمود كهرباء يرقد مع مصباحه بعد سهاد، صندوق بريد مطلي باللون الاحمر، كتاب ملقى في صندوق قمامة، نافذة مفتوحة تتسلل منها نغمات عود نحيلة، أسد من الاسود التي صارعها (بشر بن عوانة) كنت اعانق هذه المسرات اليومية بحماستي النامية، والقي عليها التحية المناسبة، او اعيد تشكيلها وأضمها الى كنوز غريزتي المتفتحة ، كنت استذكر في مسيري ابيات قصيدة من "النمط الصعب والمخيف" هاذيا بالفاظها وانغام اوزانها وشكل سطورها المجزأة الى شطرين متقابلين متصفحا في ذهني (الكشكول) الذي نقل منه معلمنا القصيدة على السبورة السوداء، كان شكل دفتر القصائد في يد المعلم يختلف عن شكل كتاب المطالعة المطبوع لمرحلتنا الابتدائية السادسة، ففطنت حينذاك الى ان النصوص تختلف باختلاف مصادرها، وان الكتب تستتر مثل اشكال الحياة على طريق عودتي الى البيت فتستولي على اللب بسيماء ومضامين مختلفة، ثم الى وجود مؤلفين يرسلون النصوص من موقع مجهول، كم تقت انذاك الى ان اكون واحداً من هؤلاء المرسلين الثاوين في قلعة الكتابة منذ امد غير معلوم، وعند هذه المرحلة من احلام الطريق كنت أوي اتجاهي نحو العمق المتواري من المدينة ساعياً وراء كتاب يختلف شكله عن اشكال عطار او وحيداً مع أسد في فلاة مقفرة.

يحق لي الان، بعد توطد هذه الغريزة وتساميها وانضمامها الى ممتلكات مشغلي، ان اعيد رسم طرق البصرة التي غالبا ما اكتشف نفسي سائراً فيها نصف سنوات القرن العشرين ، برواسمها وشواخصها وشخصياتها ، مكررا الخطوات نفسها التي قادتني الى مخابئ السحر الاول وأروقة الخيال الفتي، وهي تثوي في ذاكرة لم تهرم ساعة، ولم تقصر بوصة، ولم تنس حرفاً، من قراءة اول كتاب او صحيفة.

اتذكر ستة او سبعة مواقع لبيع الصحف والمجلات والكتب في مداخل (سوق الهنود) وأركانها، وثلاث مكتبات كبيرة تحت شرفات هذه السوق ونوافذها ولافتات "مغازاتها" وعيادات اطبائها وصيدلياتها ومحلات بهاراتها، ومثل هذا العدد من المكتبات في الشارع الرئيس بالعشار، ومكتبات اخرى في البصرة القديمة، فمن غير هذه المراصد الورقية لاتستطيع عين الزمان ان ترصد مكاناً واحداً داخل مدينة قامت بأكملها على اسواق الوراقين، ومدارس الفكر الاسلامي وحلقات الدرس النحوي، وملتقيات الشعر، واصوات الرفض والاحتجاج، وحكايات النهر والبحر والصحراء.

اتذكر انني اشتريت كتابا من مكتبة الياس دورنة الاهلية، بدينار لا قيمة له، كان الكتاب من مؤلفات (غوركي) الذي تاقت اليه غريزتي وقصرت عنه يدي، وكنت اغدو على المكتبة بين وقت واخر في نهاية الدوام الصباحي، ايام كنت طالبا بالثانوية المركزية في العشار، اشاهد كتابي على الرف واطمئن على بقائه، وامني النفس بشرائه فلما ملكت ثمن الكتاب وكان دينارا من ضروب الدنانير الملكية التي ابطل العهد الجمهوري الجديد استعمالها، اسرعت الى اقتناء كتاب غوركي، اكتشف صاحب المكتبة حقيقة ديناري، لكنه قبله من دون اعتراض على قيمته الزائلة، وخرجت من المكتبة بكتاب ثمين مقابل دينار قديم ، هذه حكاية لا تحدث الا في زمان المدينة الذي تزدهر فيه غريزة الكتاب العلياء وتنخفض فيه غرائز الحياة الدنيا وزيفها.

٢- لذة المطبوع

قراءة الجريدة اليومية عادة اكتسبناها صغارا، ثم تمكنت من شبابنا وأغوتنا بدهائها وطراوتها، فلما طعنا في السن. وعتقت القراءات ، غدت قراءة الجريدة عودة الى الجذور، واسترجاعا لصحائف الايام الماضية.

فكأني بقراءة الجرائد البائتة في هذه الايام استرجع لذة الانتظار التي تسبق قدوم الصحف من العاصمة في الايام السالفة، وكنا نستقبل اسماء المقالات المرموقة بالوقوف ساعات امام موزع الجرائد او باعتها عند اركان الاسواق.

كنت شاباً اقف كل يوم على باب موزع جرائد العاصمة (فيصل حمود) بانتظار جريدتي (صوت الاحرار) سائحاً بخيالي في عالم المطابع الفسيح الذي يرسل برقه وصواعقه وحبره من بعيد، كان لما نشبت الجريدة العريض ذا غامض يثير في الشاب المنتظر صعقة ونذيرا، ويدفعه الى الصفير مع نفسه بلحن اغنية شائعة، متغلبا به على خوفه وانتظاره سمعني موزع الجرائد اصفر على بابه مع نفسي فخاطبني مقرعا "لا يليق بشاب من الاحرار ان يصفر بشفتيه لحناً نمبتذلا" ارتسمت في ذهني انذاك اكثر من صورة للاحرار الذين ينتظرون الرزم الطرية المقبلة من بغداد، منها صورة شاب ينقر ويتذمر ويحتج، بينما غريزتي الفتية تحثني على ان استبقي من مشاعري الفياضة على لذة وحيدة مسيطرة دون غيرها من لذات الحرية، هي لذة انتظار المطبوع الذي ولدته مطابع العاصمة وارسلته مقمطاً بعطره الورقي في رزمة ينقلها القطار النازل من بغداد الى معقل الاحرار في اقصى الجنوب، كانت لذة الانتظار تسبق عندي لذة الهجوم، ولذة ولادة المطبوع اقوى من لذة قراءته، وما زلت حتى اليوم اؤمن بهذا الترتيب في اقتناص المتع من عمليتي القراءة والكتابة، ورسم الحدود الفاصلة بين الوعي والممارسة دفعتني لذة الانتظار في اخر الامر الى المشاركة في تحرير المطبوع فأرسلت مقالة الى جريدتي، فصار لانتظار المطبوع شوق مضاعف، ولذة كان قيظ تموظ/ يوليو يزيد اوارها، ثم صرت أروي قصص هذا الانتظار فحصلت منها على لذات اخر.

ثمة شراكة بين القارئ والكاتب في اقتسام لذة النص المطبوع، غير ان كلا من الشريكين يهدف الى حيازة حصة اكبر لاشباع نهمه منها، فكاتب النص يخفي بين جوانحه لذة الولادة العسيرة لنصه، وهو اعلم من شريكه بمراحل الكتابة والتنقيح، فيما يتلذذ القارئ بما وصفه رولان بارت مسرات القراءة وتوليد المعاني التي تقع بين حدي الفعلين "قرأ حلم" تبدأ لذة القارئ بالتصاعد فتتداعى حوله مشاعر متناقضة من "الرضى والرفاهية والامتلاء" ثم تهبط به الى قرار بعيد من مشاعر "الانزلاق والاضمحلال والفراغ".. تتجلى لذة القارئ بحسيتها الجسدية، ولايمنعه تناقصها وتلاشيها من نزع اخر غلالة عن جسد النص كي يصل الى ابعد معنى مستور في ثنايا السطور لا حدود للذة القارئ المتحفز للتقدم بقراءته فيما ترتسم امام الكاتب الذي يقرا بعينيه نصه المطبوع (المتجسد في فضاء اخر) المسافة المحدودة التي انتظر عندها بزوغ نصه وخروجه الى العيان، فهو يسترجع بقراءته ماضي النص (القريب او البعيد) كي يثبت ابوته له، او يحاول انكار صلته به.

ان الطبيعة التكرارية لفعل القراءة توهم بانزلاقات اللذة غير المكتملة على اشلاء النص المرتبة في مشرحة المعاني فيما لايتكرر فعل الكتابة سوى مرة واحدة، ولا يزهر الا في موسم واحد، ولايقيم في غير حدائق الطباعة، تستثار لذة الكتابة باستثارة لذة المطبوع، وهذه تتجلى في مظهرين متلازمين، جسدي في شكله الطباعي، ولا جسدي في اشكاله المتحولة (من الصورة الى الصوت، ومن فضاء الصفحة الى فضاء الحاسوب)... لكنه مضمر في شكله النهائي بين حدي الفعلين "كتب شاد او أنجز" لذا فأن لذاذة المطبوع تقيم في قيمة التشييد والانجاز، وتتشكل جسديا في الامتداد البصري للاشياء العمودية المشيدة على جسد النص المفروش بالوعود اللذيذة ، أي انها تحتفي بالمباني الراسخة لا بالمعاني "المنزلقة" وسألقي نظرة اخيرة على هذه الاشياء العمودية قبل ان تجذبني عزلة القراءة الى حكاية التذ بروايتها.

يعثر الكتاب الذين جنوا ثمرات الانتظار الطويل في أروقة المطابع على لذاتهم في ظلال الاجساد الشمخة (الباذخة) بيوت المستقبل الواقفة على صدر الزمن: الساعات (قلب الزمن) ، المراصد الفلكية (عين الزمن) المرايا(انعكاس الزمن) المكتبات (ذاكرة الزمن)، اما العلاقات الزمنية السائرة التي تعترض علامات الزمن الواقفة سبيلها، فاختار منها ثلاثا القاطرة، الباخرة، القافلة.

القافلة، اجل هي دالتي وحدها على لذة المطبوع، كما تصورها لوحة استشارقية منسوخة من فجر الصحراء العربية ، قافلة تخب في الرمال، متجهة الى احدى علامات المستقبل تنهض الشمس في الفرسخ الاخير من رحلة القافلة، وتتجه الابل تعلوها الهوىادج نحو مدينة شاحبة الملامح، تلوح في الافق المصبوغ بلجين الشمس النهاضة ، غبارن كلاب، بغال، رجال، رؤوس تتطلع من الهوادج الى البيوت التي لاتكاد تبرز من الرمال اشبارا قافلة بلا هوية لكني سأنحرف بها الى علامتي الشاخصة في لذة قراءتي، أو لذة حكايتي.

يروى ان الصاحب بن عباد كافي الكفاة ، خازن الكتبن مصنف (المحيط في اللغة) الذي عاش بين ٣٢٦ و٣٨٥ هجرية كان يستصحب حمل ثلاثين جملا من كتب الادب ليطالعها اثناء سفره ورحلاته لكنه لما استدعاه صاحب خراسان الملك نوح بن منصور الساماني الى بخارى كي يستوزره، اعتذر ابن عباد عن الوزارة، اذ كان نقل كتبه معه الى ذلك الصقع البعيد يكلفه حمل اربع مئة بعير، ولم يكن يقوي على فراق مكتبتهن قبل الملك الاعتذار، وأعفي الصاحب من تقلد المنصب الرفيع، الا ان بخارى ظلت تحلم بقافلة طويلة تحمل قماطر الكتب، تشق طريقها الى بلاد ما وراء النهر، وهكذا تستطيع لوحة استشراقية من القرن التاسع عشر ان تمدد انتظار ال سامان للقافلة حتى يومنا هذا ، اجل قافلة تتجه الينا، نحن المنتظرين تحت علامات المستقبل، الشامخة (الساعة، المرصد، المرآة، المطبعة، المكتبة) سترسم لذتنا، لذة انتظار المطبوع، مع الفجر، مثلما كان يرسمها القطار النازل من بغداد بصحف العاصمة.

رولان بارت

أوراق
العدد (1796)السنة السابعة -الاحد (16)
آيار 2010

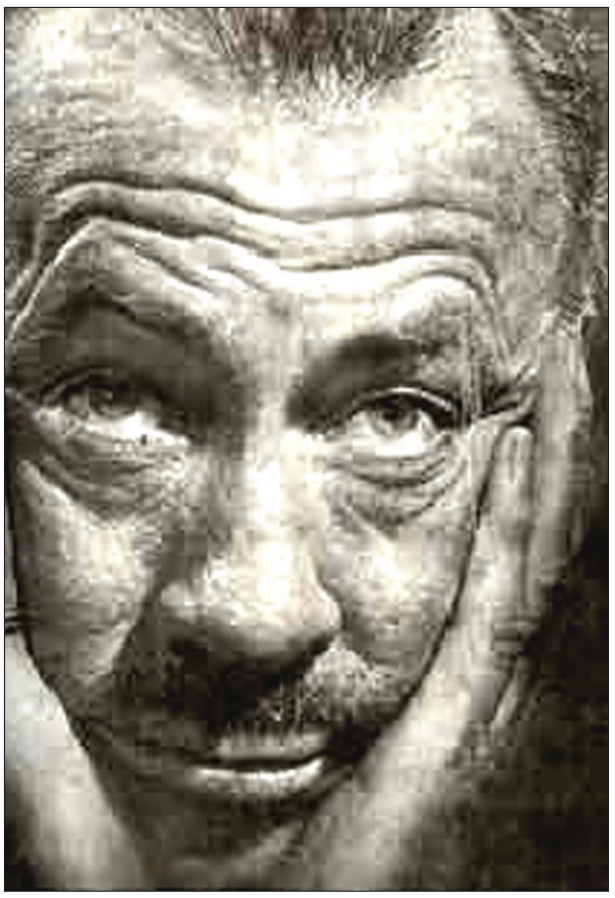

شتاينبك

شتاينبك .. كاتب الشعور و الميزة الأدبية

قراءة ثانية في كتاب قديم

ترجمة / عادل العامل

لم يكن هناك ، و أنا مراهق ، و حتى في أوائل العشرينيات من عمري ، يقول جوناثان ياردلي في مقاله النقدي هذا، كاتبٌ ميت أو حي أدَّخر له عملاً أكثر من جون شتاينبك . و خلال خمسينيات القرن الماضي ، كنتُ ألتهم رواياته التهاماً ـ " عناقيد الغضب The Grapes of Wrath" ، و لكن أيضاً كل البقية ، بما فيها " في معركة مريبة " ، " الوادي الطويل " ، " رجال و فئران " ، " القمر تحت The Moon Is Down " و " شرق عدن " ، التي نُشرت و أنا في الثانية عشرة من عمري ـ بهوى المراهقة و بدون تمييز تماماً . و كان ولعي على درجة من الشدة بحيث أنني ، في عام 1960 ، تركتُ صديقاً لي يُقنعني بأن أقايض نسختي الجديدة من " آثار أدبية : مختارات من شوسَر إلى بيربوم ـ و بعده " الرائعة لدوايت ماكدونالد بنسخته من " أسفار مع شارلي بحثاً عن أمريكا " لشتاينبك.

حسَنٌ ، و يمر الزمن على ذلك . لقد اختفى " أسفار مع شارلي " من مكتبتي قبل دهور ، لا أدري متى و أين على وجه الدقة ، و قبل أسابيع قليلة فقط أعدتُ الأمور إلى نصابها بشرائي ، لقاء ثمن بخس تقريباً ، نسخة مستعملة لطيفة من : آثار أدبية .. " بغلافها الترابي الأصلي . و على مرّ السنين اختفت كل مجموعتي من كتب شتاينبك ـ التي كان قد توفر لديّ العديد منها ، و كان آخر ما اختفى " عناقيد الغضب " في ربيع عام ٢٠٠٦ ، حين كان علينا ، أنا و زوجتي ، في عملية انتقالنا من منزل كبير إلى شقة صغيرة ، إتخاذ أحكام أدبية قاسية لتقليص مكتبتنا . و من اللازم أنني و أنا طفل كنت أقرأ كطفل ، و حين أصبحتُ رجلاً نحَّيتُ جانباً الكتب الطفولية ، لكن ذلك ليس بالأمر العادل بالنسبة لشتاينبك ، أو ، بسبب ذلك ، بالنسبة لنفسي الشابة . و بعد عقد و نصف من الزمن ، حين راجعتُ المجلد الأول من طبعة شتاينبك لمكتبة أمريكا (المجلد الرابع والأخير قد نُشر الآن) ، الذي يحتوي على الخمسة الأولى من كتبه ، صدمتني " المهابة ، و الوجدانية ، و السخرية الثقيلة ، و انعدام روح الدعابة ، و التعابير العامية المجهدة ، و الفجاجة ، و السذاجة السياسية " التي وجدتها فيه ، لكن أعيد إلى ذهني ما كان قد جذبني إليه عندما كنتُ شابا: " صوره المتعاطفة بقوة عن عمال المزارع الأمريكيين و ... مشهد العدالة الاجتماعية الذي يغمر نتاجه الأدبي . " و الآن ، و برنامج (القراءة الثانية) يدخل سنته السادسة ، و عدد من القراء يتساءلون عما إذا كان شتاينبك سيتضمنه المسلسل ، فإن من المناسب إلقاء نظرة أخرى .

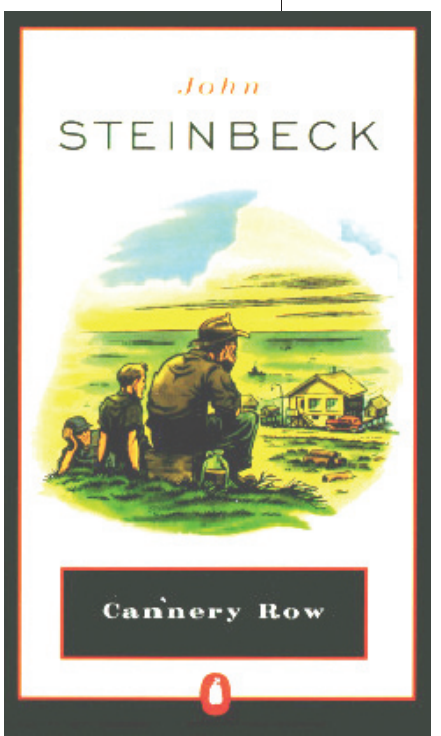

قررتُ القيام بهذا مع كتاب " كانيري رو Cannery Row " ، الذي نُشر لأول مرة في عام ١٩٤٥ ، و قرأته بعد ذلك بست أو سبع سنوات تقريباً . و كنت قد قرأت آنذاك بشعور غامر من الابتهاج العمل الناجح الشعبي الأول لشتاينبك ، " شقة تورتيلا " (١٩٣٥) ، و أثارني اكتشاف أنه يؤشر لعودة إلى مونتيري ، البلدة الكاليفورنية الساحلية التي أحب شتاينبك أناسها العاديين و صوَّرهم بقدر من التعاطف و الدعابة . و تذكّرت أن شتاينبك في هذين الكتّابين كان قد نحّى جانباً الألم الخفيف الذي كان معرَّضاً له و مال إلى الهزل ؛ كان على مسار طويل من الفكاهي ، لكنني تذكرتُ هذين ككتابين الحسني الفكاهة أو الدعابة و تساءلتُ إن كنت سأجد أن هذه النوعية لم تكن قد قلّت على مرِّ السنين .

و الجواب القصير هو أن الدعابة الجيدة ما تزال هناك ، لكن الكتاب نفسه يبدو الآن متكلِّفاً و عتيق الطراز و ليس هزلياً جداً في الواقع . و هذا أمرٌ مُحبط إن لم يكن مثيراً للدهشة ، لكنه يترك من دون جواب ذلك السؤال المتعلق بشتاينبك و الذي كدَّرني و آخرين كثيرين غيري لسنوات عديدة : لماذا يستمر نتاج هذا الكاتب الجاد و المفتقر إلى الفن في التمتع بمثل هذه الشعبية المدهشة ؟ و ليس من الصعب إدراك لماذا تُختار كتبه على نطاق واسع في صفوف المدارس الانكليزية المتوسطة و الثانوية ؛ فهي سهلة القراءة ، و هي أمينة في تصويرها للأمريكيين من الطبقة العاملة ، و تدعم عاطفياً القيَم و المباديء الأمريكية الأساسية حتى و هي تنتقد تفصيلات الحياة الأمريكية . و مهما كانت نواقصها الأدبية ، فإنها تتَّسم باكتمال يستجيب له القراء الشباب.

لكن لماذا يواصل البالغون قراءة شتاينبك بمثل هذه الأعداد ؟ بعد أربعة عقود من وفاته ، تدرّ كتبه المال على ناشريه ؛ فهو بالنسبة لدار فايكنغ بنجوين كخليل جبران بالنسبة لكنوبف ، مصدر متصل للدخل . فمن " كأس الذهب " (١٩٢٩) إلى " أمريكا و الأمريكيون " (١٩٦٧) ، تبقى كتب شتاينبك مطبوعة و معروضة للبيع ، سويةً مع مجلدات متنوعة من الرسائل لكتّاب راحلين ، و مجموعات و غيرها . و نسختي من " Cannery Row " جزءٌ من " طبعة شتاينبك للذكرى المئوية " الصادرة عن بنجوين في عام ٢٠٠٢ . و المستهدَف بهذه الطبعة القراء البالغون ، و هي تصل إليهم كما هو واضح من المبيعات المنشورة .

و من المحتمل أن تفسير هذا سيظل سراً على الدوام . و لا يفيد كثيراً في ذلك حصول شتاينبك على جائزة نوبل للأدب في عام ١٩٦٢ ؛ فلو كانت جوائز نوبل ترسل بالقراء إلى مكتبات بيع الكتب ، لكانوا ما يزالون يقرأون بيرل باك و سنكلير لويس . كما لا يمكنها أن تفيد كثيراً في مسألة علاقة الموضوع بالبلد اليوم ، نظراً لكون كتبه كتابات ترتبط بفترات محددة . هذا إضافةً إلى أن فضل الأسلوب الأدبي لن يبعث بأحد لقراءة كتبه ، و هي التي لا تمتلك إلا القليل النفيس منه .

لماذا ما زال الناس يقرأون شتاينبك اليوم بينما نُسيت تماماً تقريباً أعمال معاصره وليام سارويان (الكوميديا الإنسانية ، إسمي آرام ، المسرحية الفائزة بجائزة بوليتزر ، زمن حياتك) . و كان الكاتبان متشابهين بشكل لافت للنظر في عاطفتهم تجاه الناس العاديين ، و إيمانهما بالولايات المتحدة و وجدانيتهما المثابرة ، و كانا في وقتهما شعبيين بشكل هائل على حد سواء ، و مع هذا فمن المحتمل الآن ألا نجد أكثر من واحد من ٢٥ قارئاً يتعرف على اسم سارويان على الأرجح . و ربما كان السبب الوحيد في تثمين شتاينبك الآن هو إخلاصه المتَّسم بالشفافية . لقد ظلّت نظريتي المحببة لوقت طويل هي أنه في سوق التعامل الشعبي ، يميّز القراء غريزياً بين الكتّاب الذين يعتمد نتاجهم الأدبي على الشعور و أولئك الذين يعتمدون على الفن أو البراعة ، و أنهم يكافئون الأوّلين بينما يتبرأون من الأخيرين . فمن جاكلين سوزان إلى دانييل ستيل ، من جيمس ميتشينَر إلى جيمس باترسون ، تعرَّف القراء على إخلاص الشعور تحت الافتقار كلياً إلى الميزة الأدبية ، و كافئوه وفقاً لذلك .

و لم يكن شتاينبك على تلك الدرجة من السوء في أسلوبه النثري كهؤلاء إلا في النادر ـ مع أن جائزة نوبل التي فاز بها أمر يذكّرنا بأن مسائل التميّز الأدبي أقل اعتباراً لدى الأكاديمية السويدية من العقيدة السياسية ـ لكن كتبه تلتمع بالإيمان الذي ينبع من القلب . ففي " Cannery Row " ، مثلاً ، يقدم لنا شتاينبك رجلاً متبطلاً لطيفاً يدعى ماك و زمرة من أصحابه الذين يستقرون داخل مبنى مهجور بمونتيري يطلقون عليه اسم قصر فلوفوس و غريل . و هم " من دون عوائل ، و لا نقود ، و بلا طموحات أكثر من طعام ، و شراب ، و قناعة " ، و العالم التقليدي يزدريهم باعتبارهم " أردياءً ، نهاياتهم سيئة ، وصمات على البلدة ، لصوصاً ، أوغاد ، مشردين " ، لكنهم في نظر شتاينبك " المحاسن ، و

لم يكن شتاينبك على تلك الدرجة من السوء في أسلوبه النثري كهؤلاء إلا في النادر ـ مع أن جائزة نوبل التي فاز بها أمر يذكّرنا بأن مسائل التميّز الأدبي أقل اعتباراً لدى الأكاديمية السويدية من العقيدة السياسية ـ لكن كتبه تلتمع بالإيمان الذي ينبع من القلب .

الفضائل ، و النِّعم الإلهية " و ذلك لأنه " في العالم الذي تحكمه نمورٌ ذات قُرَح ، و تعفّره ثيران مقسَّاة ، و و تجوبه بنات آوى عمياء بحثاً عن طعام ، فإن ماك و الفتيان يتناولون الغداء بلذّة مع النمـور ، و يلاطفون العجول المسعـورة ، و يرزمون فتاتَ الخبز ليُطعموا نوارس البحر في كانيري رو " .

و هـذه وجدانيـة نقيـة و بسيطة ، إن لم تكـن بصراحة تافهة ، لكن حـب شتاينبك لهؤلاء الرجال شفـاف و إعجابه ببسَاطتهم البريئـة صـادق تمامـاً . و كان لديه ضعـف بالنسبـة للحكاية الرمزيـة parable و الفنتازيـا ، و الميثولوجيـا ـ و " شقة تورتيلا ، السلف الطولي لـ " كانيري رو " ، هي نغمة على الملك آرثر و فرسان المائدة المستديرة ـ و غالباً ما ارتبطت التعميمات الفكرية thematic الكاسحة بهذه جميعاً . لقد كان مسروراً بسلـوكات مـاك و جماعتـه الغريبة ـ و يتضمـن مشهد الرواية الناجـح و الفاتن للغاية مقابلتهم ضابطـاً عسكرياً مغلوباً على أمـره وفّروا لـه لحظة قصيرة للهـرب و عـدم المسؤولية ـ لكن شتاينبـك يأخذهـم علـى نحو جدي جـداً . فيقـول دوك ، و هو بايلوجـي بحري طيب القلـبَ ، و بطل الرواية الحقيقي ، الذي يتحـدث نيابةً عن شتاينبـك : " أنظر إليهم . هـا هم فلاسفتك . أعتقـد ... إن مـاك و الأولاد يعرفون كل مـا جرى على الإطلاق في العـالم و ربما كل ما سيجـري . أعتقد بأنهم سيبقون أحياء في هـذا العالم الخاص بشكل أفضل من الناس الآخرين . ففي أي وقـت تجد فيه الناس يمزّقـون أنفسهم إلى أجزاء بالطموح و الهيـاج العصيب و الجشع ، يكونون هـم في حالة استرخاء . كل رجالنـا الناجحين كما يقال مرضـى ، بالمعْدات السيئة ، و النفوس السيئة ، لكن مـاك و الأولاد أصحّاء و نظيفون بشكل غريـب . إنهـم يستطيعون أن يفعلـوا ما يريـدون . يمكنهم أن يشبعـوا شهواتهم من دون أن يسمّوها شيئاً آخر غير ذلك . ... و هم يستطيعون أن يدمروا حيواتهم و يحصلوا على نقود . و لدى ماك صفات العبقري . و هم جميعاً أذكياء جداً إذا ما أرادوا شيئـاً . هم فقط يعرفون طبيعة الأشياء على نحوٍ جيد جداً لأن يُمسَك بهم في تحقيق ما يريدون . "

و يقـترب هـذا علـى نحو خطـر من كونـه تغييراً علـى نظرية الهمجـي النبيـل المشوَّهةً كليّاً ، لكنـه يذكّر بإعجـاب شتاينبك الصـادق بالـبراءة و اللاأنانيـة . فانطلاقاً من كونـه هو نفسه رجـلاً معقـداً ، صعبـاً ، و طموحـاً انتقـل أخـيراً إلى الشرق و تنقّـل في دوائر متنفـذة ، فإنه لم يفقد أبـداً في الواقع ارتباطه بالحياة الأكثر بساطةً و بالقيَم التي يعيشها موطنه المحلي في كاليفورنيا الساحلية أوائل القرن العشرين . و قد تعرَّف القراء علـى هـذا في كتابته و استجابوا له ، مثلمـا ما يزالون يفعلون كمـا يبـدو . أما بالنسبـة لي أنا نفسي ، فـإن شتاينبك مسجَّىً الآن علـى نحو مريح في ماضٍ مـرَّ عليه نصف قرنٍ من الزمن . و لم يعـد بوسعـي أن أقرأه ، لكنه كان مهمـاً لي فيَّ ما مضى و هذا أمر ينبغي أن لا يُنسى . فليس الكثير من كتب فترة شبابنا يظل سليماً من الضرر في ما نظن أنه النضوج ، و كثير غيرها ينتظـر ذلك النضوج قبل أن نكون مستعدين لتثمينها و فهمها . و أنـا أظن أن شتاينبك قد فسـح المجال في الآخر لوليام فوكنر ، لكنـي أتحاشى ، الآن ، الإسـاءة لصديق قديمَ و أنا أشير إليه بإشارة الوداع .

الكتاب / " كانيـري رو
المؤلف / جون شتاينبك
عن / Washingtonpost

مذكرات رندا الترانس.. سيرة حياة رجل تحول إلى امرأة

يـؤرخ كتاب حازم صاغية الصادر حديثاً في 'دار الساقي' بعنوان 'مذكرات رندا الترانس' لحكايـة فؤاد الشاب الذي يعاني التباساً في هويتـه الجنسيـة، الأمر الـذي دفعه إلى تغيير اسمـه إلى رندا في انتظـار تغيير جنسه عبر عمليـة جراحية تزيل عضوه الذكري الزائد وتعلن أنوثته التي ورثها بالجينات.

في الكتـاب الـذي هـو عبارة عن سـيرة ذاتية تتتبـع أصول عائلة رنـدا المنحـدرة من العثمانيـين والتي سكنت الجزائـر بعدما كان السلطـان العثمـاني عيّن احـد اجدادها باشا للجزائـر، وهذا الجد يدعـى أحمد باي الذي كان باي القسنطينة. هكذا حارب أحمد باي الفرنسيـين الذين استعمـروا الجزائر سنـة ١٨٣٠ إلى جانب عبد القـادر الجزائري، وكاد أن ينشـأ بين القائدين حلف لولا عصبوية عبد القادر العربية ضد الأتراك.

. أمـا والدها فهو مدرّس لغـة فرنسية ورياضيات، في حين اقتصر تدريس الأم التي تحولت من أم منفتحة وشغوفة بالثقافة الفرنسية والأغـاني الفرنسية إلى متدينة، اقتصـر تدريسها على الفرنسية. هـذه السيرة التي تبدو عائلية لا تلبـث أن تغدو ذاتية ثم جماعية. سـيرة رنـدا التـي تعرضـت لاغتصاب وعنـف واضطهـاد ووجوع وخيانـة من أقـرب الناس إليهـا، ليست سوى واجهـة لسيرة تلك الفئـة من الناس التي تعاني مـن ازدواج الهوية الجنسية وأحياناً من ازدواج الأعضاء الجنسية الذكورية والأنثوية في مجتمعات لا يُسمح للأنا الخاصة بالتعبير عن نفسها. مجتمعات يبدو فيها الفرد مسحوقاً بقـوة الكليات. ليست رندا الترانس سوى نموذج لهذه الجماعـة، وليست سيرتها سوى اختزال لسيرة مجتمع. إن سيرة كهـذه – على خصوصيتها– ليست أكثر من واجهة لقراءة تاريخية وسياسيـة واجتماعية للجزائر. من خـلال رندا الترانس وعائلتها يمكـن للقـارئ أن يتتبع تلك الانتقالات التي مـرّت بها الجزائر منذ الاستعمار الفرنسـي إلى مرحلة التعريب ثم مرحلة الإسلاميين ثم مرحلة الصـراع الدموي على السلطـة في التسعينات وصولاً إلى النظـام الراهن الممسك بمفاتيح الحكم وأقفاله. والأهم يمكن له أن يرى نسيج العلاقات المعلنة والسرية، تضارب الثقافتين الفرنسية والعربية، تمـازج الأخلاق الأرستقراطية مع الأخلاق البرجوازية الصاعدة بفعل إدارات الدولـة والتجّار الصغار، ثم تصارع هاتين الثقافتين مع الطبقات الدنيا.

إذا كان هـذا بعض فهمي للأدب فإن 'مذكـرات رندا الترانس' كتاب أدبـي أيضـاً. وإذا كان لي أن أملـك فهمـاً لعبارة 'لكل مقـام مقال'، أمكننـي القول إن جنس هذا الكتـاب كموضوعه 'ترانس': مزدوج وملتبس.

رنـدا أو فـؤاد سابقا تحدثت لوكالة الصحافـة الفرنسية عن فكرة الكتاب الذي يروي سيرة حياتها قائلة :

ولـدت فكـرة الكتـاب من رغبتـي بكتابـة قصتي ووضـع شهادتي الشخصيـة أمـام الجميع لأرتاح مـن شياطين الماضـي التي كانت تعيشـ في داخلي. أردت أن أقول للعالم كلـه أن الإنسان الترانس سـواء كان رجلا أو امرأة، هو انسـان عميق، لديه أزمات ومشاكل وهوية مثل كل انسان آخر، وليس مجرد لعبة جنسية هدفها المتعة الجسدية.

وعن توقعاتها لاستقبال القراء لكتابها قالت :

لا شك أنه سيتلقى نقدا واسعا وسيمنع في وطني "الجزائر" لأنه لا يتحـدث عن امـرأة ترانس فقـط، بل عن امـرأة ترانس مناضلة لها مواقف سياسية وفكرية ولها نظرتها الخاصة للدين والمجتمع. لكن المهم أن هذا الكتاب سيحدث شرخا في جدار الرفض والخوف الاجتماعـي من الناس الترانس أو المتحولـين، لأن القراء سيرون "رندا" الانسانة، وليس مجرد كائن جنسي، وبالتأكيد سيجدون نقاطا مشتركة معي وسيشعرون بنوع من القرب الي.

لقـد أردت القـول أني ولدت هكذا ولا يمكن لي أن أتغير. كما أردت القـول أني امرأة، ولست أي فتـاة، بل لي مواقف سياسية وفكرية ضـد الذكورية والتطرف الديني والتخلف الاجتماعي الظالم، وأنا عضـو فاعل في هذا المجتمع ولست خارجـه. أعتقد أن هذا الكتاب سيجعل الترانس يثقـون في أنفسهم أكثر، وآمـل أن يشعـروا بالفخر بهويتهم مثلما أشعر أنا.

وعن هويتها الجنسية تؤكد رندا :

أنا امرأة ترانس، نسوية وحرة الجنس وحتـى عندمـا أنتهـي مـن عملياتـي، سأظل أعرف عن نفسي بأني ترانس، لأني فخورة بذلك، وأعتز بتضحياتي وقوتي وعذاباتـي التي ستوصلني في النهايـة الى ما أريد. لا يمكن أن أنسـى تاريخي، وسأظل أصر على أني امرأة ترانس.

الكتاب / مذكرات رندا الترانس
تاليف / حازم صاغية
الناشر/ دار الساقي

العرب في كتاب المستشرقة الألمانية هونكه:

شمس العرب تسطع على الغرب

عادل صادق

ليس كل ما يتعلق بالعرب، بطبيعة الحال، سيء و متخلف و مقترن بالعنف و العدوان، سواء في الماضي أو الحاضر، كما توحي به الممارسات الهمجية للجماعات الارهابية المحسوبة على العرب و المسلمين في عالمنا اليوم. فهناك، بالتأكيد، جوانب إيجابية و مشرقة و إنسانية في حياتهم اليومية و الثقافية، و يعرف هذا جيداً المستشرقون المنصفون، و منهم المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه (١٩١٣ ـ ١٩٩٩)، التي أودعت معلوماتها التاريخية و انطباعاتها بهذا الشأن في كتابها الممتع " شمس العرب تسطع على الغرب ". و قد صدرت الطبعة الأولى منه باللغة العربية في عام ١٩٦٤، و كان من ترجمة فاروق بيضون و كمال دسوقي.

و يمكننا القول إنه لا شيء يدلل على حضارية أي بلد أو أمة مثلما يفعل الاهتمام بالصحة العامة. فكل شيء تقريباً يمكن التظاهر به أو شراؤه إلا الاهتمام الثابت و المنظم بصحة الناس جميعاً، سواء كانوا متواضعي الحال أم من علية القوم، مواطنين أم أجانبَ.

و لنتأمل الآن في هذه الرسالة القديمة التي ذكرها كاتب عربي عاش قبل ألف عام و أوردتها المستشرقة هونكه في كتابها الآنف الذكر، قبل أن نستأنف التحدث عنه، و لننتبه جيداً.

يقول كاتب الرسالة من مستشفى كان يرقد فيه :

" أبتي الحبيب،

تسألني إن كنتُ بحاجة إلى نقود! فأُخبرك بأني عندما أخرج من المستشفى، سأحصل على لباس جدِيد و خمس قطع ذهبية حتى لا أضطرّ إلى العمل حالَ خروجي مباشرةً، فلستُ بحاجة إذن إلى أن تبيعَ بعض ماشيتك! و لكن عليك بالاسراع في المجيء إذا أردتَ أن تلقاني هنا. و عندما تدخل من البُوابة الكبيرة، تعبر القاعة الخارجية الجنوبية، و هي مركز الاسعافات الأولية حيث أخذوني بعد سقوطي، و حيث يذهب كلُ مريض أولَ ما يذهب كي يعاينه الأطباء المساعدون و طلاّب الطب. و مَن لا يحتاج منهم إلى معالجة دائمة في المستشفى تُعطى له وصفته فيحصل بموجبها على الدواء من صيدلية الدار.

و أما أنا، فلقد سجّلوا اسمي هناك بعد المعاينة و عرضوني على رئيس الأطباء. ثم حملني ممرّض إلى قسم الرجال، فحمّمني حمّاماً ساخناً و ألبسني ثياباً نظيفة من المستشفى. و حينما تصل أنتَ ترى إلى يسارك مكتبة ضخمة و قاعة كبيرة حيث يحاضر الرئيس في الطلاّب. و إذا ما نظرتَ وراءك يقع نظرك على ممر يؤدي إلى قسم النساء. و لذلك عليك أن تظلّ سائراً نحو اليمين ، فتمر بالقسم الداخلي و القسم الجراحي مروراً عابراً ... فإذا سمعتَ موسيقى أو غناءً ينبعثان من قاعة ما، فادخلها و انظر بداخلها، فلربّما كنتُ أنا هناك في قاعة النُقُه حيث تشنَّفُ آذاننا الموسيقى الجميلة و نُمضي الوقتَ بالمطالعة المفيدة ... و اليومَ صباحاً جاء كالعادة رئيس الأطباء مع رهط كبير من معاونيه. و لمّا فحصني، أملى على طبيب القسم شيئاً لم أفهمه. و بعد ذهابه أوضح لي الطبيب أنه بإمكاني النهوض صباحاً و بوسعي الخروج قريباً من المستشفى صحيح الجسم معافى.

و إني و الله لكارهٌ هذا الأمر! فكل شيء جميل هنا للغاية و نظيف جداً : الأسرّة وثيرة و أغطيتها من الدمقس الأبيض، و المُلاء بغاية النعومة و البياض كالحرير، و في كل غرفة من غرف المستشفى تجد الماء جارياً فيها على أشهى ما يكون. و في الليالي القارسة تُدفأ كل الغرف. و أما الطعام فحدّث عنه و لا حَرَج!! فهناك الدجاج أو لحم الماشية يُقدَّم يومياً لكل مَن بوسعه أن يهضمه!

عزيزي القاريء، لا بدّ و أن أموراً كثيرة في هذه الرسالة المكتوبة قبل ألف عام قد أثارت انتباهك ... مستشفى يمنح مرضاه ثياباً جديدة و نقوداً عندما يتماثلون للشفاء حتى لا يضطرون للعمل حالَ خروجهم مباشرةً؛ تحميم المرضى حمّاماً ساخناً و إلباسهم ملابس نظيفة؛ مكتبة ضخمة للمرضى و قاعة كبيرة يحاضر فيها رئيس الأطباء في طلابه بالمستشفى؛ موسيقى و غناء في قسم النقاهة و مرضى يكرهون الخروج من المستشفى، و كيف لا و هي توفر لهم الدفء و الأفرشة النظيفة و الدجاج المحمّر و لحم الماشية الذي يقدَّم يومياً لكل مَن باستطاعته أن يهضمه!

و عليك هنا أن تعرف، عزيزي القاريء، قبل أن تذهب بك الظنون كلَّ مذهب أن ما ورد في هذه الرسالة هو فعلاً انطباعات مريض منبهر بالمستشفى الذي رقد فيه للعلاج، و ليس قصة خيالية، أو حَديثاً عن مستشفى .. في الجنّة!

أما المريض المنبهر هذا، فهو من الفرَنجة، و أما المستشفى فهو أحد تلك المستشفيات التي كانت منتشرة في كل المدن العربية الكبيرة قبل ألف عام ... و لك أن تصدّق أو لا تصدّق! فالأمر غريب و محيّر حقاً و ربما مستحيل مقارنةً بحال مستشفياتنا المشهورة بالاستغلال و الفساد و التعامل المهين اليوم، بل و حتى بحال المستشفيات في الغرب المتقدّم نفسه!

أوراق
العدد (1796) السنة السابعة - الاحد (16)
آيار 2010

خير جليس...

تتناول هذه الصفحات أحدث الإصدارات العربية والأجنبية يقدمها مازن لطيف.

حكايات اندرسن

ليس ثمة شك عند نقاد اليوم أن قصص أندرسون الخيالية تشكل مساهمته العظيمة للأدب، غير أننا من أجل أن نفهم أندرسون، وزمنه، والمسرح الأدبي والدانمركي خلال حياته، وأن يصل إلى تقييم عادل لمساهمته في الأدب الدانمركي، فإنه من الواجب أن ننظر إلى كل أعماله.

وحين يتحدث الدانمركيون مع معارفهم الإنجليز والأمريكيين، فإنهم دائما ما تأخذهم الدهشة حين يكتشفوا أن حكايات أندرسون تعتبر فقط للأطفال ذلك أنه يمكن القول بلا مبالغة إن حكايات أندرسون هي الملكية الروحية المشتركة للدانمركيين صغارا وكبارا، وزيادة علي ذلك، فإن الكبار في الدانمارك لا يقرأون أندرسون من باب العاطفة فلديه ما يقوله للكبار وكما يقول الناقد لويس كارول فان معظم حكايات أندرسون لها معان مزدوجة لا يستطيع تصورها إلا الكبار. فهذه الأعمال تتضمن أشياء مجردة ليس لها مكان في عالم الأطفال. كما انه ليس من السهل أن نوضح ما كان يعنيه اندرسون من مثل هذه

وعلي الرغم من الأعمال الإبداعية لهانز كريستيان اندرسون (١٨٠٥-١٨٧٥)، من رواية ومسرحية إلا أن اسمه قد ارتبط بحكاياته الخيالية وقد استمد منها شهرته ومكانته العالمية بل إن أندرسون نفسه لم يكن لديه فكرة ضئيلة أن حكاياته الخيالية هي التي سوف تفتح له العالم بل كان يسمي هذه الخطابات بالتفاهات. ولم يكن أندرسون بأية حال أول من حكي هذه الحكايات الخيالية، ولكنه أصبح أكثرهم شهرة،

في البداية لم يكن أندرسون واعيا أن كتابة الحكايات الخيالية كانت مجاله كما عبر في خطاب كتبه عام ١٨٤٣ وقال فيه إنه الآن قد حزم أمره «أنا أكتب حكايات خيالية، والحكايات الأولي التي كتبتها كانت في أغلبها حكايات قديمة سمعتها كطفل والتي حكيتها واعدت تشكيلها بطريقتي وأسلوبي الخاص، أما تلك التي خلقتها بنفسي مثل «جنية البحر الصغيرة» فقد لاقت استحسانا وهو ما منحني دافعا، وهذا ما أقوله الآن من قلبي» وبعبارة أخري كان نجاح الحكايات الخيالية هو ما أقنعه بخصائصها.

وبين أعوام ١٨٣٥-١٨٧٢، نشر ١٥٠ حكاية خيالية، جمعت في أجزاء صغيرة ثم في أجزاء أكبر، وكانت صفة الحكاية الشعبية أوضح الأجزاء الأولي ولكنها كانت تتجه بشكل اكثر نحو القصة القصيرة، ومن ثم جاء الوصف الأوسع علي صفحة العنوان «Stories» فما هو التنوع الذي تضمنته هذه الحكايات؟ إنه يشعر وهو يشكلها ويبنيها أنه في بيته وعالمه اليومي، وهو يجعل عالم الوهم ينمو من الواقع بشكل أكيد لا يخطئ وعلي هذا فهي تبدو صادقة بشكل لا يصدق، وبشكل دقيق يعبر في الحكاية الواحدة من الواقع علي الخيال، إنه يجعل عالم الخيال حقيقة ولكن عظمته تكشف عن نفسها في العملية العكسية حيث يصبح الحقيقي خياليا، إنه يجد ويكتشف العجيب في عالمه اليومي ويجد الشعر في النثر.

الكتاب / قصص وحكايات خرافية
تاليف / هانس اندرسن
الناشر / دار المدى

تاريخ البدانة من العصور الوسطى إلى القرن العشرين

حتى البدانة لها تاريخها، هذا ما يشرحه «مؤرخ الجسد» والأستاذ الجامعي الفرنسي جورج فيغاريللو في كتابه الصادر قبل أسابيع تحت عنوان: «تحولات الشحوم» كعنوان رئيسي، و«تاريخ البدانة من العصور الوسطى حتى القرن العشرين» كعنوان فرعي.

كانت البدانة أحد معايير الجمال في السابق، هذا ما يؤكده المؤلف، كما تشير تماثيل ورسوم «فينوس دو تيتيان» في العصور الوسطى. لكن هذه المعايير تطورت وتباينت، ثم انقلبت كما تؤكد رشاقة أجساد عارضات الأزياء في القرن العشرين، وحيث لا يزال هذا الاتجاه سائداً حتى الوقت الحاضر.

وجورج فيغاريللو «يؤرخ» لهذا التحوّل من تمجيد «الجسد المكتنز» إلى «مديح الجسد النحيل» الذي تخلّص من الشحوم. وهو يركز في «تأريخه» على إظهار المحطات الأساسية التي برز فيها «الاهتمام النسائي» بالنحافة بأشكال مختلفة خلال العصور.

ويرى المؤلف أن الجسد الإنساني يعكس إلى حد كبير التوترات الاجتماعية بين الفقراء والأغنياء وبين الأقوياء والمضطهدين وبين الرجال والنساء. بهذا المعنى يبدو الجسد بمثابة مرآة تكشف عن المرجعيات الأساسية في المجتمع. مثل هذا الواقع يراه المؤلف واضحاً بالنسبة للحضارة الغربية التي يزداد مواطنوها «بدانة» إلى درجة أن ذلك غدا يمثل مشكلة حقيقية، خاصة بالنسبة للمجتمع للأميركي الذي يعرف نسبة كبيرة من البدينين حتى بين الأطفال.

ولا يتردد المؤلف في القول إن «البدانة» أصبحت إحدى المشكلات الاجتماعية والصحية التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار بسبب آثارها العامة، فضلاً عن آثارها على الأفراد. وهو يشرح على مدى العديد من الصفحات ما يسميه ب«دكتاتورية المظهر» التي تغدو أكثر «طغياناً». ويتم في هذا السياق تقديم نوع من «الجرد» للتقنيات الطبية التي تسعى إلى تحقيق هدف واحد هو التخلص من الشحوم الزائدة في الجسد.

وتواكب هذه التقنيات مع الظهور التدريجي لأهمية «الميزان» في المنازل إلى جانب الأنظمة الغذائية «الريجيم» التي وصل عددها إلى عدة آلاف، وأصبحت تشكل قطاعاً اقتصادياً معتبراً.

يتألف هذا الكتاب من خمسة فصول تحمل العناوين التالية : «الشخص الأكول» في العصور الوسطى، ثم «المختل التوازن الحديث» و«من الاختلال البلاهة إلى العجز، عصر الأنوار والحساسيات حيال الجسد» و«الكرش البورجوازي» ثم الفصل الأخير «نحو مفهوم الضحية».

ويشرح المؤلف أنه منذ العصور الوسطى حتى عصر الأنوار، ومن القرن التاسع البورجوازي إلى القرن العشرين «وفي التوجه العقلاني». كانت النظرة مختلفة إلى «البدين».

ويشرح جورج فيغاريللو أن التقدم الطبي كان حاسما بالنسبة للنظرة إلى الجسد. وفي القرن الثامن عشر ظهرت كلمة «البدانة» في قاموس «فورتيير» الصادر عام ١٧٠١. ولم يكن توصيفها «القاموسي» آنذاك بعيدا عن اعتبارها نوعا من الظواهر المرضية. ثم فرض عصر التنوير خطاباً «يدين فيه صراحة اكتناز الشحوم» في الجسد الإنساني. وبدأت بالوقت نفسه «معركة الأرقام» حول تحديد شروط إطلاق صفة «البدانة» على المعنيين فيها.

واعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين وامتدادا إلى اليوم ظهرت الدعوات إلى ضرورة «فقدان عدة كيلوغرامات» حسب درجة البدانة. لقد بدأت حقبة «انهيار الشحوم» لصالح تفضيل الأجساد ذات العضلات القوية وليس الشحوم المترهلة.

وأصبح يشار إلى «السمين» وكأنه مدان، وعليه أن يكفر عن «بدانته» بالعمل على أن يصبح «مخيفا». هذا استجابة لما ينتظره من مجتمع ينظر إلى الزيادة في الوزن كـ«خطيئة جمالية، بمقدار ما هي خطيئة صحية أيضا».

كذلك أصبحت البدانة إحدى صفات «الفقر» بسبب تناول كميات كبيرة من النشويات، بعد أن كانت من صفات «الثراء» في العصور الوسطى، وكان القرن التاسع عشر قد عرف «الكرش البورجوازي». وفي المحصلة يبيّن المؤلف من خلال النظرة إلى البدانة مدى تعقيد علاقة المجتمعات الغربية مع مفهوم «المعيار» الخاص بتحديد «ما هو جميل» و«ما هو طبيعي».

الكتاب: «تحولات الشحوم، تاريخ البدانة من العصور الوسطى إلى القرن العشرين»
تأليف: جورج فيغاريللو
الناشر: سويل باريس ٢٠١٠

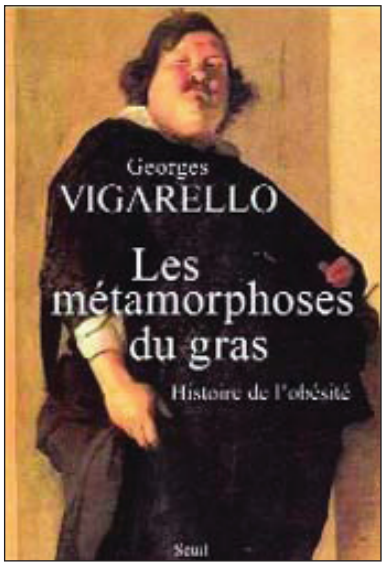

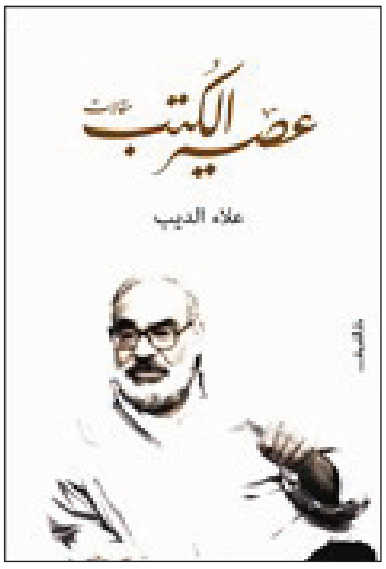

كتاب يؤرخ لسيرة كتب

عندما بدأ الكاتب الصحفي علاء الديب تحرير بابه الأسبوعي بمجلة «صباح الخير».. «عصير الكتب» قبل نحو أربعين عاما، لم يكن يعرف أن عنوانه «عصير الكتب»، والذي قدم من خلاله عروضا لمجموعة هائلة الكم والكيف من الأعمال العربية، سوف يتحول بعد فترة إلى كتاب ممتع، ينافس العناوين التي يحويها بين غلافيه.

في «عصير الكتب» الذي صدر أخيرا عن دار الشروق، سوف تقابل أسماء كبيرة، وعناوين خلدت أسماء أصحابها، انتقاها علاء الديب عند صدورها الأول، وقرأها علينا.

من حلاوة لغته، تكاد تسمع صوته وهو يحكي لك عن «أصوات سليمان فياض»، و«ذات صُنع الله إبراهيم»، أو «زهرة حنان الشيخ». تكاد تلمح عرق جبينه وهو يجتهد في «البحث عن وليد مسعود» مع جبرا إبراهيم جبرا.

بعض الكتاب سوف يصابون بالحنين، عندما يقرأون أسماءهم مقترنة بصفة «الكاتب الشاب»، سيتذكرون عناوينهم الأولى، كنا في ١٩٨٦ عندما قال «صدر للكاتب الشاب سمير غريب كتاب مهم ومثير بعنوان (السريالية في مصر)، والكتاب دراسة موثقة لفترة من أهم وأخصب فترات الفكر والفن في مصر. ويكشف سمير غريب في كتابه الممتع عن أعماق تلك الحركة، التي لم تكن فقط تتمثل في نشاط الفنانين التشكيليين، بل كانت في حقيقتها حركة تمرد اجتماعي وفكري للمثقفين المصريين».

سوف تعرف أهمية أن يكون الكاتب أو القارئ على علاقة بمجالات الثقافة المختلفة.. أدب، موسيقى، تشكيل، سينما.. كيف يكون تلقيه مختلفا، عندما قرأ «بحيرة المساء» لإبراهيم أصلان، ذكرته بموسيقار عظيم هو «يوهان سباستيان باخ»، يقول:

«تعلمت من الموسيقى الكلاسيك وخاصة من باخ.. إن أروع ما في العمل الموسيقى هي الثوانى التي تنتهي فيها الجملة الموسيقية أو اللحن، وتبدأ فيها جملة جديدة، أو لحن جديد، في هذه الثوانى يتركز كل تركيب العمل، يضع فيها المؤلف أسرار الكمال الفنى القائم في ذهنه دون إفصاح أو مباشرة».

سوف نتكئ على علاء الديب في العرض لأسماء كبيرة، مثل يحيى الطاهر عبدالله، الذي عرفّه كاتبنا على أنه «واحد من الذين رافقوا حركة القصة الجديدة، بل وصاغوا كثيرا من معالمها»، وهو من الذين «يتردد البعض في تقويم أعمالهم، ويقفون من كتابته الدقيقة الصعبة موقفا متحفظا، ويرون في رؤيته الخاصة وتناوله المميز للأحداث والشخصيات استمرارا لموجة الغموض والعبث».

سوف تقرأ أيضا في «عصير الكتب» عن أعمال عالمية مثل «مديح الظل» لليابانى «جونيشيرو تانيزاكى»، الذى وصفه بأنه «بالغ الرقة والأهمية»، ونصح كل أصدقائه بقراءته.

يقدم لكتاب عصير الكتب الروائي ابراهيم اصلان : «هذه كلمات لا تنفع، طبعا، إلا أن تكون في محبة علاء الديب، الصديق والأستاذ، وأحد الأخيار القدامى في هذا الواقع الثقافى الذى صار مسخرة، ومفخرة، أو أى شيء من هذا القبيل».

الكتاب / عصير الكتب
تاليف / علاء الديب
الناشر / دار الشروق ٢٠١٠

الشعر والوجود

دراسة فلسفية في شعر أدونيس
يتناول الكتاب شعر ادونيس من جوانبه الفلسفية والوجودية، وكيفية معالجته قضايا الحياة والواقع، في سياق تنظيرات ادونيس لحركة الشعر الحديث وما رافقه من ظروف الصراع التي خاضها ضد التقليديين.

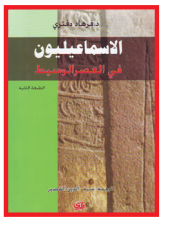

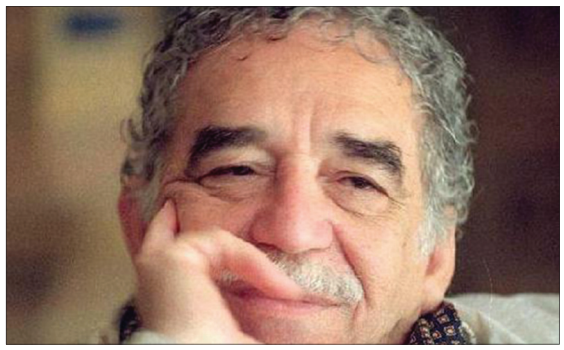

هنا عاش ماركيز

أصبح بيت ومتحف الكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز في بلدة أراكاتاكا في كولومبيا. ، على أتم استعداد لاستقبال الزوار، وذلك بعد أن مضى على عملية إعادة بنائه وترميمه أكثر من ثلاث سنوات، حيث يعيد المنزل، مع تحوله إلى متحف، إنشاء الفضاءات والأمكنة التي ترعرع فيها صاحب نوبل للآداب، أيام الطفولة والمراهقة، بأدق تفاصيلها.

يقوم هذا المنزل . المتحف على ١٤ خاصية مستوحاة من بيئة المساكن الكاريبية التي كانت سائدة في النصف الأول من القرن العشرين، وتمت استشارة ماركيز وأخذ موافقته المسبقة على تسمية كل ركن من أركان المنزل، الذي يشكل جزءا لا يتجزأ من أماكن أراكاتاكا الممثلة بامتياز لأصل وفصل حيز لا بأس به من مصادر الإلهام الأدبي التي استمد منها ماركيز الكثير من أعماله. وما كان لعملية إعادة بناء هذا المسكن المهجور وشبه المهدم، منذ أكثر من أربعين عاما، أن ترى النور كما يجب، لو لم تأخذ وزارة الثقافة الكولومبية في الاعتبار الوصف الذي استعرضه له ماركيز في كتاب سيرته «أعيش لأرويها»، الصادر عام ٢٠٠٢ .

إضافة إلى شهادات والدة صاحب نوبل، لويسا سانتياغا ماركيز، وعمليات استكشاف وتحقق تمت في العقار، وأيضا الحرص على التأكد من صحة شهادات الأقارب والأصدقاء، وهذه القضايا بمجموعها شكلت حجر الأساس في هذا المشروع الرائد الذي سمح بإعادة إبداع الخواص والمواد نفسها في صلب توصيف وسمة عمارة المنطقة وبيوتها، المبنية آنذاك من ألواح خشبية بسقوف ألواح من الزنك. إعادة بناء البيئة الثقافية وفي هذا الصدد، قالت باولا مورينو وزيرة الثقافة الكولومبية:إن الهدف في عملية البحث والتحقق هو إعادة بناء البيئة الثقافية وتوزيع فضاءات المنزل انسجاما مع الأوصاف الواردة في السيرة الذاتية للكاتب. وللقيام بهذا العمل البحثي الهائل وكتابة قصة المكان من منظور متحفي، لجأت الوزارة إلى مجموعة من الخبراء والباحثين الذين أمعنوا النظر في مذكرات وأعمال مؤلف «مئة عام من العزلة»، إلى جانب مؤلفات المؤرخين الكولومبيين عموما، ومؤرخي المنطقة على وجه الخصوص، ومقابلات مع أقارب وأصدقاء مؤلف «خريف البطريرك.

ولا شك أننا نستدل من كلام الوزيرة باولا في هذا الشأن، أن قصة المنزل تلك، تروي حياة وأعمال الكاتب في كافة بيئاتها العائلية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، السائدة في المنطقة الواقع فيها المنزل المتحف، وفي البلاد عامة.

الافراج عن بورخس

قصّة يصعب تصديقها عاشتها المؤلفات الكاملة للكاتب الأرجنتيني خورخي لويس بورخس. فهذه المؤلفات التي صدرت في جزأين اثنين عن دار "غاليمار" الفرنسية، ضمن سلسلتها العريقة "لابلياد"، عامي ١٩٩٣ و١٩٩٩، صودرت بطريقة بوليسية ولا تزال أسباب مصادرتها غامضة أمام القراء وتصلح لأن تكون مادة لأحد مؤلفات بورخس. كلّ ما نعرفه أنّ دار "غاليمار" اضطرّت إلى سحب كتب بورخس من المكتبات، وذلك بطلب من أرملة الكاتب ماريا كوداما.

لكن يبدو أنّ هذه الفضيحة الأدبية التي باتت تعرف في باريس تحت اسم "فضيحة بورخس"، وصلت اليوم إلى فصلها الختامي، إذ ذكرت الدار الفرنسية مؤخّراً أنّ كتب بورخس التي صدرت ضمن سلسلة "لابلياد" وغابت عن رفوف المكتبات لسنوات طويلة، تمّ إطلاق سراحها الآن. ولم يكن بالإمكان العثور عليها إلاّ في المكتبات المخصصة لبيع الكتب القديمة حيث بلغ سعر الجزأين الخمسمئة يورو.

وربّ سائل: لكن لماذا؟ كلّ ما هو معروف عن الموضوع أنّ أرملة مؤلف "كتاب الرمل" (وكان عقد قرانه عليها قبل حوالي الشهرين من وفاته)، والوريثة الشرعية له، شكّكت في نوعية العمل الذي أنجزه الباحث بيار بيرنيس الذي أعدّ الأعمال الكاملة لبورخس، ولم تعترف بقيمتها، بعد أن كان تمّ الترحيب بها في العالم أجمع وخصوصاً في الأرجنتين حيث تمّ اعتبارها مرجعاً أساسياً. وقد بذلت الدار جهوداً كبيرة استغرقت سنوات، أدت إلى اقتناع ماريا كوداما بالإفراج عن نتاج زوجها الذي سيكون متوفّراً من جديد في المكتبات قبل نهاية العام الحالي.

كاتب بريطاني يرصد عبقرية ليوناردو دافنشي

"كيف تخيل ليوناردو دافنشي مستقبل العالم"، عنوان كتاب ألفه الكاتب البريطاني ستيفان كلين، يتناول تخيل الرسام الإيطالي الشهير دافنشي لتطور العالم، لاقى قبولا في سوق الكتاب الإنجليزي.

ويتناول الكاتب تخيُّلَ الرسام الإيطالي ليوناردو دافنشي لمستقبل العالم، والتطورات التي طرأت عليه، وعن استشعاره العقلي والفكري لإمكانية حدوث تطور تكنولوجي هائل في العلم، والأجهزة التكنولوجية واختراع الطائرات والصواريخ والآلات الصناعية، كما هو حاصل الآن.

وبحث الكاتب "ستيفان كلين" في لوحات الرسام الإيطالي صاحب لوحة "الموناليزا" و"العشاء الأخير"، معتمدا على إمكانية العثور على لوحات تخيل فيها المستقبل والتطور التكنولوجي في العالم.

حياة جديدة لرواية تشارلوت برونتي

أصدرت إحدى دور النشر كتابا للروائية الراحلة تشارلوت برونتي، التي كانت ذائعة الصيت في القرن التاسع عشر و صاحبة الرواية الرومانسية «جين أير».

عنوان الكتاب الذي يقع في ٣٤ صفحة هو «فندق ستانكليف» وقد كتبته برونتي عام ١٨٣٨م ولم يقرأه إلا قليل من العلماء، وقد نشرته كاملا جريدة التايمز اللندنية مؤخرا.

يقول هيثر جلين الذي قام بإعداد الرواية الصغيرة للنشر «إنها ساخرة، لاذعة، وذكية وليست مشابهة لجين أير كما أنها ليست قصة عاطفية عن بطلة محرومة من الحب». المخطوطة الأصلية لهذا العمل الأدبي التي كانت محفوظة في متحف برونتي في شمال انجلترا هي مجموعة من الصور التي تسخر من العاطفة الرومانسية والغرور الذكوري.

يقول جلين محاولا توضيح سبب عدم نشر هذه الرواية الصغيرة وأعمال أخرى عديدة: «هناك نوع من الغموض يكتنف هذه الكتابات التي لا تفهمها إلا إذا عرفت اضطرابات مرحلة الطفولة، لكن ليس صحيحا أن هذه المخطوطات لا يمكن فهمها أو الاستمتاع بها، أعتقد أنها ستغير النظرة السائدة عن الكاتبة تشارلوت برونتي».

وهذه الرواية القصيرة التي أخذت إلى أيرلندا بعد موت برونتي في عام ١٨٥٥ مكتوبة بخط يد جميل في صفحات صغيرة تحتوي كل منها على أكثر من ١٠٠٠ كلمة، ثم شحنت هذه الرواية إلى الولايات المتحدة بعد ذلك بواسطة أمريكي يهتم بجمع مثل هذه المخطوطات.

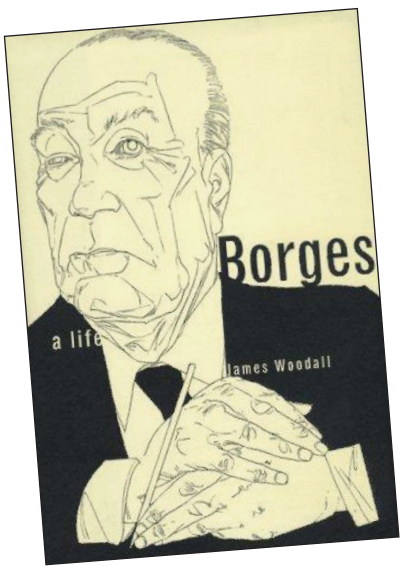

افـــاق

الروائي والحس التاريخي

سعد محمد رحيم

تنطوي كل رواية جيدة على رؤية ما إلى العالم، أو فلسفة مضمرة.. رؤية أو فلسفة أساسها الوعي التاريخي والحس التاريخي. فالرواية تقترح تاريخاً مناظراً، بديلاً.. تاريخاً يتخطى اشتراطات تدوين الفعل التاريخي العياني/ المادي، في ظاهره، ليطل على الخريطة السرية للوجود الإنساني في لحظة فارقة من لحظات التاريخ. ومن غير حس تاريخي عميق سيخفق أي روائي في كتابة رواية لافتة، وذات قيمة فنية. والروايات الرديئة هي تلك التي تؤشر ضعف الحس التاريخي عند كتّابها.

لا أتكلم في هذا المقام عن الرواية التاريخية، عن تلك الروايات التي تتخذ من حوادث التاريخ المعروفة أو السرية موضوعات لها. بل عن الرواية عموماً التي لابد أن تكون متشربة برحيق التاريخ، مفعمة بعبقه، ومثقلة بروحه، حتى وإن صنّفناها في خانة الفنطازيا واللامعقول.

والرواية التي تقترب من الأسطورة والفنطازيا واللامعقول لا يعني أنها تبتعد بالقدر نفسه عن الواقع والتاريخ. وكان روجيه غارودي من منظور فلسفته في الأدب والمتمحورة حول؛ الواقعية بلا ضفاف، قد استشف في عالم فرانز كافكا حقيقة عالمنا الذي نعيشه. ليكون العالم الذي خبره بعمق وقسوة هو ذاته العالم الذي بناه في رواياته؛ (المسخ، القصر، المحاكمة، أمريكا، الخ..). نستطيع قول الشيء عينه عن رواية (العمى) لخوزيه ساراماغو (مثالاً) والتي تكشف عن المأزق الأخلاقي للسلوك البشري حين يوضع البشر أمام اختبار صعب. فساراماغو حين يورِّط مجتمعاً كاملاً في حالة من العمى الفيزيقي، في روايته، إنما ينزع القناع البراق عن وجه حضارتنا فيبين العمى الأخلاقي لنسبة واسعة من البشر في شكل تشوّهات في السلوك؛ الأنانية، الميل إلى العنف والفوضى، القسوة، فقدان الكرامة، الخ.

إن أعمال غائب طعمة فرمان وفؤاد التكرلي، في سبيل المثال، ما كان لها أن تكون بهذه الأهمية، وعلى هذه الدرجة من الإتقان الفني، لو لم يكن الكاتبان على دراية كافية بتاريخ مجتمعهما، وموقع هذا المجتمع الحضاري والسياسي في العالم. فعلى الروائي أن يأخذ على عاتقه كلاً من الوجود الإنساني وتاريخه وهو يشرع بكتابة روايته. مرة أخرى أنوّه بأنني لا أتحدث عن الرواية التاريخية بتوصيف جورج لوكاش، أو غيره. بل عن الرواية المعجونة بخميرة التاريخ.. الرواية الصادرة عن وعي وحس تاريخيين ناضجين ورهيفين.

في الرواية ننظر إلى الوجه الخفي من التاريخ.. الوجه الآخر، المهمل والمقصي. وأكاد أقول الوجه الأكثر حقيقية. ولهذا بمستطاعنا التأكيد بأن التكرلي في "الرجع البعيد" قد قال وكشف ما لم يقله ويكشفه مؤرخو حقبة الستينيات العراقية كلهم.

وفي رواية "الوليمة العارية" يلتقط علي بدر بذكاء عتبة تاريخية مهمة تتمثل بلحظة سقوط بغداد على يد الإنكليز في العام ١٩١٧ ومغادرة الجيش العثماني المدينة بعد هزيمتها المنكرة.وقد حاول الروائي تصوير تلك اللحظة على خلفية حراك اجتماعي وثقافي/ تاريخي مضطرب وحاسم، وإن شوّشت رؤيته أحياناً النظّارة الاستشراقية التي يستعيرها.

والسؤال الذي يجب أن يقلقنا اليوم ويحفزنا كذلك هو ؛ كيف نقدّم أنفسنا بعدّنا أمة وتاريخاً ومشروعاً إنسانياً إلى العالم من خلال الرواية؟. إن ازدهار الرواية في أي مجتمع يتطلب توافر شروط ثقافية واجتماعية، وحتى سياسية، ممهدة. غير أن وعياً ناضجاً وحساً تاريخياً حاداً وصادقاً وموهبة خلاّقة يمكن أن تنتج عنه رواية كبيرة مستشرفة ؛ رواية رؤيوية تسبق عصرها. وهذا هو ما حصل، على وجه التحديد، في روسيا القيصرية، في القرن التاسع عشر، لمّا استطاعت روايات تولستوي وغوغول ودستويفسكي وترجنيف وغيرهم من أدباء روسيا العظام عكس روح الأمة الروسية وتطلعها.. هنا لن يكون الروائي فناناً وحسب، بل صوتاً لضمير الإنسانية وروح التاريخ.

تتحرش الرواية لا بالتاريخ وحده بل بالمدوّنة التاريخية المتداولة أيضاً. فبالمخيلة وقد غدت أصدق إنباءً من التدوين التاريخي التقليدي تُنتهك وتُخترق الجلد العقلاني الخشن للمدونة وتوضع موضع التساؤل والشك.

اصدارات دار المدى للثقافة والنشر

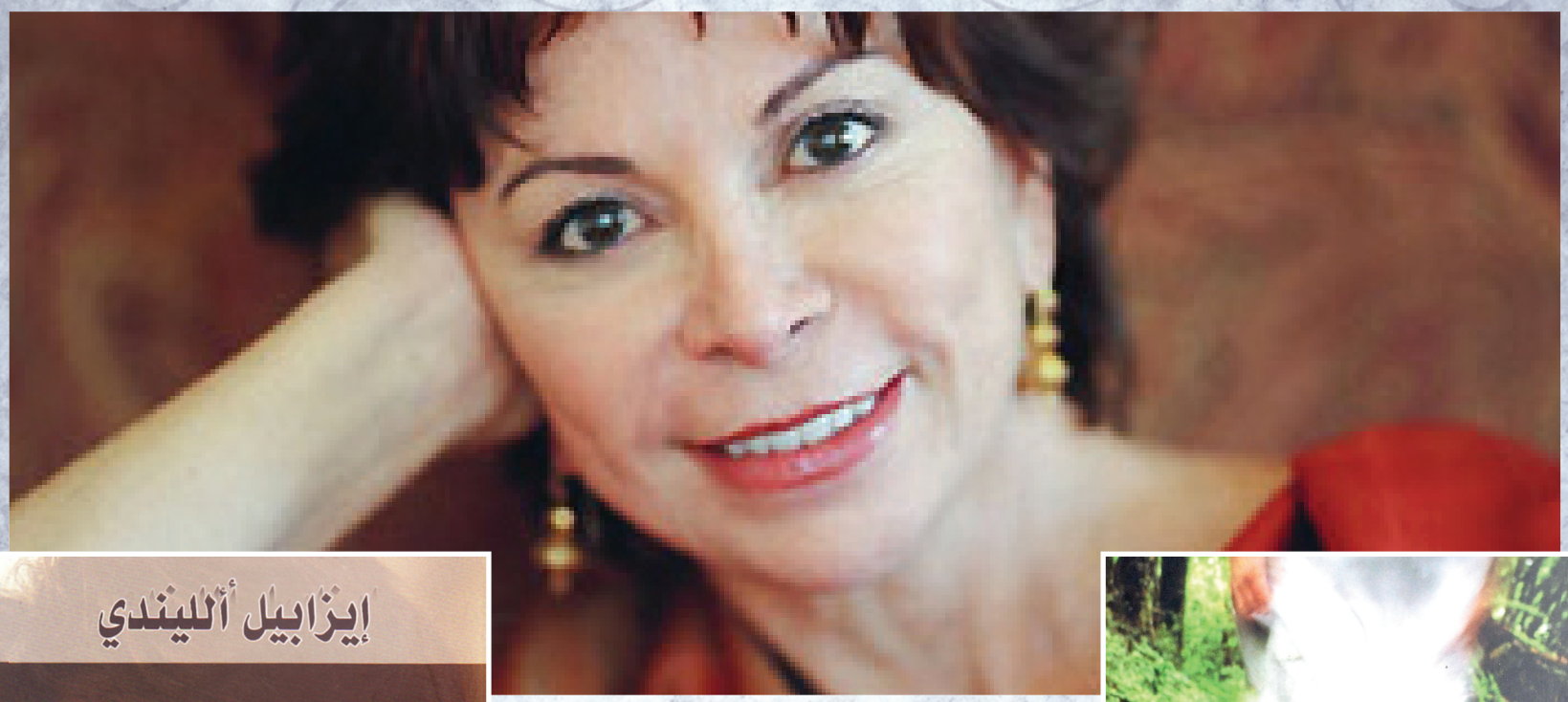

الأعمال الروائية للكاتبة التشيلية

إيزابيل الليندي

ترجمة صالح علماني

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

تحرير | علي حسين - علاء المفرجي
الاخراج الفني | مصطفى جعفر
التصحيح اللغوي | يونس الخطيب